ملامح النقد البلاغي
في
كتاب الموشح للمرزباني

(المتوفى ٣٨٤هـ)

الأستاذ الدكتور
مرسيل عبد الهادي عبد الله
الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالمنصورة

المقدمة

كتب الأدب الخالص تضم في أثنائها شجوناً من مباحث البلاغة والنقد، فتضيع هذه الشجون في لفائف الأخبار الأدبية الكثيرة، وهي أحرى بالتدوين والتعليق.

وأذكر أن الأستاذ الجليل الدكتور شوقي ضيف قد كتب بحثاً شافياً تحت عنوان " النقد في كتاب الأغاني " وكتاب الأغاني أخبار أدبية لا تظهر فيه النقدات العلمية إلا نادراً ومنسوبة لصاحب هذه النقدات؛ لأن أبا الفرج لم يكن ناقداً بل كان راوية إخباريا، ولكن الدكتور شوقي ضيف تتبع هذه النقدات وخصها ببحث مستقل، ولم يقل في العنوان أن النقدات تخص أبا الفرج، بل قال إنه جمعها ودونها، ولذلك استحقت أن تفرد في بحث مستقل.

وكذلك رأينا من خص المسائل النحوية في كتب الأدب ببحث خاص، فالمبرد تعرض لشجون نحوية في كتابه الذي يشمل اللغة والشعر والأدب، فكانت هذه الشجون النحوية سببا لالتفات النقاد والمؤرخين إلي كتاب الكامل، ووجد من يتتبع هذه الخطرات النحوية ويجعلها بحثا مستقلا.

وكذلك كتاب "زهر الآداب " للحصري الذي بجمع مختارات رائعة من النثر والشعر، ولكن الحصري قد أشار إشارات موجزة إلى شذور من النقد فكان بذلك مهيئاً للباحثين أن يكتبوا عن النقد في كتاب "زهر الآداب "

وقد قرأت كتاب "الموشح" للمرزباني فوجدته حافلا بأخبار الشعراء وما أخذ عليهم من الهنات في المسائل النحوية واللغوية والبلاغية، وقد استوقفني بوجه خاص ما تردد في صفحاته من مسائل البلاغة فتذكرت صنيع هؤلاء الماجدين من أمثال الدكتور شوقي ضيف وأضرابه، وأردت أن أدرس ما جاء في الموشح من المسائل البلاغية لا علي أنها من ابتكاره، بل لأنه هو الذي رواها كما فعل أبو الفرج فيما روى من النقدات في "كتاب الأغاني " وقد وصلت إلي

زاد وافر يخدم الحقل البلاغي، كما لاحظت أن المرزباني قد اعتمد علي كتب مشهورة مثل كتاب "عيار الشعر " لابن طباطبا العلوي وكتاب " طبقات الشعراء " لابن المعتز، وكتاب "نقد الشعر" لقدامة ابن جعفر وهى كتب معروفة رجعت إليها لأتأكد من سلامة النص فرأيت أن المرزباني كان أمينا في كل ما نقل، وكدت أعترض عليه في منهجه التأليفي لأنه ينسب الرأي لقائله فقط ويرويه بأمانة، ولكنه لا يعلق عليه حين يجب التعليق، وهذا ما رأيت أن أقوم به فأخص ما قاله المرزباني بالحكم الأدبي غير ناسية ما جره تقدم الزمن من اختلاف الآراء فأعلق بالجديد الذي طرأ على القديم.

فمثلا المرزباني كان يذهب إلي أن التضمين[١] عيب من عيوب الشعر بحيث لا يجوز أن يتعلق المعنى في البيت ببيت آخر يكون تكملة له، وهذا ما قاله بعض العروضيين، ولكنني بمطالعة ما قيل عن التضمين، وجدت أنه لا يكون عيباً لأن الكلام قد يتصل ويتطلب الإسهاب، وقد استشهدت في ذلك ببعض الأبيات، ولو ترك لي المجال لأتيت بأبيات كثيرة يأخذ بعضها برقاب بعض حتى تأتى الخاتمة في البيت الرابع و الخامس.

و عند الأقدمين من فحول الشعراء كالنابغة ما ينفى قاعدة التضمين التي ذهب إليها العروضيون، ولك أن تقرأ قول النابغة في مدح النعمان:

فما الفرات إذا هب الرياح له ترمي غواربه العبرين بالزبد[٢]

فإنك تجد الخبر بعد أبيات من النص الأول، ولم يقل أحد إن النابغة قد وقع في عيب التضمين.

وإني أقدم هذا البحث لأحفظ لكتاب " الموشح " منزلته في النقد والبلاغة، لأن كتباً كثيرة معاصرة له قد وجدت حظها من التنويه دون كتاب الرجل وهو

---

(١) الموشح ٤٧ .

(٢) ديوان النابغة ص٢٦ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. دار المعارف – بدون.

حظٌ تَرصّده لأن أكثر مؤلفاته التي نص عليها مؤرخوه قد ضاعت، ولم يطبع منها غير كتابين هما "معجم الشعراء" وقد طبع ناقصاً إذ ضاعت صفحات كثيرة من مختاراته، واضطر محققه أن يطبع ما عثر عليه، فقد تأتي الأيام بمخطوطة كاملة تجبر هذا الكسر.

أما الكتاب الثاني فهو كتاب " الموشح " الذي خصصته بكلمة موجزة في أول هذا البحث علي أنها كافية في جلاء مذهبه في التأليف وطريقته في الرواية.

وأرجو الله أن يوفقني إلي مزيد من الدراسة البلاغية كي أجلو صفحات مطوية تهم الدارسين.

حياة المرزباني والتعريف به

مولده ووفاته:

هو أبوعبيد الله محمد بن عمران بن موسي بن سعيد بن عبد الله الكاتب المعروف بالمرزباني، خرساني الأصل، بغدادي المولد والوفاة، معتزلي شيعي المذهب.

ولد سنة ست وتسعين ومائتين، من الهجرة، كما يذكر الخطيب البغدادي [١]، إلا أن ابن النديم [٢] قد حدد سنة سبع وتسعين ومائتين ميلاداً له، ويوثق رواية الخطيب أن مصدرها هلال بن المحسن التنوخي تلميذ المرزباني، كما يوثقها ذيوعها.

وكان أبوه عمران نائب صاحب خرسان: ببغداد، والفرس لا تطلق لقب " المرزباني " إلا علي الرئيس فيهم[٣].وقد مدح أباه أحد الشعراء فقال فيه:

إلى المرزباني الهمام أخي الندى ... أليف السدى عمران والعرف صاحبه
غزير الحجا يزهى به كل ذي حجا ... كما فخرت بالمرزباني مرازبه
تقيّل من موسى وآبائه الندى ... وبالسلف الأمجاد جلت ضرائبه[٤].

فأبوه أبو علي عمران أخو الندي، غزير الحجا، سليل الأمجاد، وارث الكرم والعلياء عن أبيه موسي وأجداده الذين لا يجود الدهر بأمثالهم -وقد ضنت المصادر بالمزيد عن أسرة المرزباني سوي أنه من أهل علم ورياسة، وأن عضد الدولة كان يجتاز علي بابه فيقف حتى يخرج إليه يسلم عليه ويسأله عن حاله .

ووصفوه بأنه من محاسن الدنيا، وأنه ممتع المحاضرة والمذاكرة فاضل ثقة

---

(١) تاريخ بغداد٣/١٣٥ ط الخانجي- الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ.

(٢) الفهرست ١٩٦ط التجارية ابن النديم ٣٨٥ه

(٣) الجواقي المعرب ٣٦٥ تحقيق أحمد محمد شاكر ط دار الكتب ١٩٦٩م .

(٤) معجم الشعراء للمرزباني ٤٢٦ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ط١ الحلبي .

ذكي حسن الترتيب لما يجمع ولا شيء فوق ذلك عن حياته اليومية سوي أنه شغف بالخمر وأن عضد الدولة سأله مرة عن حاله فقال: كيف حال من هو بين قارورتين- يعني المحبرة وقدح النبيذ - وفيها يقول:

ولي ولَها إذا الكاساتُ دارَت رقى سحرٍ يَفُكُّ عُرى الهُمومِ
معاتبة ألذ من الأماني وبَثٌّ جَوىً أرق مِنَ النَسيمِ (١)

والحقيقة التي تفرض نفسها أن الصورة الواضحة المتكاملة لأسرة المرزباني غير متوافرة فنشأته وتعليمه وصباه وشبابه ورجولته بل وحياته الخاصة ورحلاته، وكل ما يمكننا من الحديث عنه باطمئنان قد ضاع- أخنى عليه طوفان ضياع الكتب أخنى عليه تشيعه وشغفه بالخمر. أيا كان الأمر فقد ضاع منا الطريق وصار للمرزباني كتابا وتصوصا في التراث وأما ذاته فسراب.

وذكر الخطيب البغدادي أن التنوخي حدثه أن المرزباني مات في ليلة الجمعة لليلتين خلتا من شوال سنة ٣٨٤هـ وصلي عليه أبو بكر الخوارزمي ودفن في داره بشارع عمرو الرومي في الجانب الشرقي من بغداد، ويذكر ابن النديم أنه توفي ٣٧٨هـ.

إذن فمن المرجح بعد اختلاف الروايات أن المرزباني ولد ٢٩٦هـ وتوفي ٣٨٤هـ وما بين التاريخين توزعت حياة المرزباني ثلاثة اهتمامات، انشغل بها وتثقف لها وأثرت فيه تأثيرا مباشرا.

نزع المرزباني إلي السياسة فكان من أعيان الشيعة، وإلي الفلسفة فكان من المعتزلة وإلى الأدب فكان من مؤرخي الشعر ونقاده.

وساعده علي ذلك استعداده، وهيأت له الظروف أن يؤلف للشيعة ويؤلف للمعتزله، ويؤلف للأدب فأرضي العرب والفرس، والشعر والنقد، والفن والفلسفة

---

(١) وفيات الأعيان: لابن خلكان ص٤ / ٣٥٥ .

وتشهد بذلك كتبه.

أما عن منزعه السياسي، فقد مر بنا أن عضد الدولة كان يجتاز علي بابه فيقف حتى يخرج إليه ويسلم عليه ويسأله عن حاله، ولم يكن ذلك لأن المرزباني رجل من ذي النسب والعراقة فحسب، ففي الدولة من أمثاله الكثيرون، ولكن لأنه جند قلمه لخدمة الدولة البويهية الشيعية، والبويهيون قد تغلبوا علي سلطان الخليفة السني في بغداد ويجاورهم منافسهم سيف الدولة الحمداني، وهم دولة حزبية يعيشون في عقر دار الخلافة السنية، إذن فهم يحتاجون إلي قلم يساند سيفهم، ولا خوف عليه فقد أتيحت للفكر الشيعي فرصة ذهبية للظهور الرسمي والانتشار المأمون والتأييد المطلق.

وعن منزع المرزباني الفلسفي يقول أبو حيان: "...ولا طرب الزهري إلى خلوب جارية أبي أيوب القطان إذا أهلت واستهلت ثم اندفعت وغنت:

إذا أَرَدتُ سَلْواً كانَ ناصِرَكُم ... قَلبي وَما أَنا مِن قَلبي بِمُنتَصِرِ

فَأَكثِروا أَوَ أَقِلّوا مِن إساءتكم ... فَكُلُّ ذَلِكَ مَحمولٌ عَلى القَدَرِ

وَضَعتُ خَدّي لِأَدنى مِن يطيفُ بِكُم ... حَتّى اِحتُقِرتُ وَما مِثلي بِمَحتَقَرِ

ثم يستطرد " وأبو عبيد الله المرزباني شيخنا إذا سمع هذا جن واستغاث وشق الجيب وحولق وقال: يا قوم أما ترون إلى العباس بن الأحنف ما يكفيه أن يفخر حتى يكفر، متي كانت القبائل والفضائح والعيوب والذنوب محمولة علي القدر ؟

ومتي قدر الله هذه الأشياء فقد نهي عنها، ولو قدرها كان قد رضي بها ولو رضي بها لما عاقب عليها، لعن الله الغزل إذا شيب بمجانة، والمجانة إذا قرنت بما يقدح في الديانة[1]. أما المنزع الأدبي فقد غلب علي نتاجه واستنفد طاقته فكتب في صنعة الشعر.

---

(١) الإمتاع والمؤانسه لأبي حيان التوحيدي: ١٧٧/٢.

شيوخه وتلاميذه:

ذكر الخطيب البغدادي أن المرزباني قد حدث عن أبي القاسم البغوي وأبي حاتم محمد بن هارون الحضرمي وأحمد بن سليمان الطوس وأبي بكر بن دريد وأبي عبيد الله نفطويه وأبي بكر بن الأنباري ومن في طبقتهم [١].

والبغوي كان محدث بغداد في عصره، عمّر العمر الطويل حتى رحل إليه، وكتب عنه الأجداد والأحفاد، صنف المعجم الكبير للصحابة وروي عنه الكثيرون[٢].

والمرزباني من هؤلاء الكثيرين وإبراهيم محمد بن شهاب أبو الطيب العطار المعتزلي الذي روي عنه المرزباني ويقول فيه " أحد مشايخ المتكلمين والفقهاء علي مذهب العراقيين " عاش في منزله أربعين سنة أو أكثر منها معاشرة متصلة غير منقطعة.

أما الصولي فهو من أساتذته المباشرين، يقول عنه " شيخنا رحمه الله كان واسع الرواية حسن الحفظ للآداب والافتنان فيها حاذقاً بتصنيف الكتب ووضع الأشياء في موضعها.. ويقول أنشدني لنفسه..." [٣] ، وللصولي في الموشح مائة وثلاثون خبرا.

وثمة أوجه الاتفاق بين الأستاذ والتلميذ فهما شيعيان ذوا نسب[٤]. ويقال أن المرزباني قد اقتفي أثر أستاذه في كثير من المؤلفات ويتضح ذلك في مؤلفاتهما.

تلاميذه :

قال الخطيب البغدادي " حدثنا عنه القاضيان أبو عبد الله الصميري وأبو

---

(١) تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي جـ٣/١٣٥.

(٢) الأنساب للسمعاني ٨٦ط ليدن ١٩١٢م – والمنتظم للجرزي ٢٢٧/٦ .

(٣) معجم الشعراء للمرزباني٤٣١ .

(٤) انظر نزهة الألباء: لابن الأنباري ٣٤٣ – والكامل لابن الأثير ٣٢٤/٦.

القاسم التنوخي وعلي بن أيوب القمي والحسن بن علي الجوهري ومحمد بن المظفر الدقاق وغيرهم وأحدثهم[١]. وفاة القمي (ت٤٣٠هـ)، فالصميري(ت٤٣٦هـ)، فالتنوخي (ت٤٤٧هـ)، فالدقاق(ت٤٤٨هـ)، فالجوهري (ت٤٥٤هـ).

أثاره العلمية:

ذكر المؤرخون للمرزباني اثنين وستين كتابا تدور في ثلاثة محاور:

- **الأول** : في الشعر صنعته وأجناسه ومناسباته.
- **الثاني** : في الشعراء جماعات وأفرادا.

الثالث : في موضوعات متفرقة (دينية وعقائدية وتاريخية ونحوية وثقافية عامة) [٢].

وبعامة فقد ذكرياقوت في معجم الأدباء [٣]كتبه علي النحو التالي:

-أخبار الشعراء المشهورين والمكثرين من المحدثين وأنسابهم وأزمانهم أولهم بشار بن برد وآخرهم ابن المعتز .

-أخبار أبي تمام . (مفقود) ذكر ذلك في الفهرس ١٩٨ .

-أخبار أبي مسلم الخرساني صاحب الدعوة .

-أخبار البرامكة من ابتداء أمرهم إلي انتهائه .

-أخبار عبد الصمد بن المعذل الشاعر .

-أشعار النساء . تم تحقيق الجزء الثالث منه وقد ذكر أ. سالم عياد أن الكتاب في أربعة أجزاء – والباقي منه مفقهود .

-أشعار الجن .

-الأنوار و الأثمار فيما قيل في الورد و النرجس و جميع الأنوار من

---

(١) اعتقد أن الناقل أراد أقدمهم وليس أحدثهم.

(٢) المرزباني والموشح – د/منير سلطان يتصرف كبير.

(٣) معجم الأدباء الجزء الثامن عشر ٢٦٨ .

الشعر، وما جاء فيها من الآثار و الأخبار. (مفقود).

-الرياض في أخبار المتيمين من الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والمحدثين . (مفقود) .

-كتاب الأزمنة . (مفقود) .

-كتاب الأوائل في أخبار الفرس القدماء . (مفقود) .

-كتاب الشباب والشيب . (مفقود) .

-كتاب الزهد وأخبار الزهاد . مئتا ورقة بخطه (مفقود) .

-كتاب " الشعر" وهو جامع لفضائله، وذكر محاسنه، وأوزانه، وعيوبه، وأجناسه، وضروبه، ومختاره، وأدب قائليه ومنشديه، وبيان منحوله ومسروقة، وغير ذلك . وهو مفقود .

-كتاب المراثي . (مفقود) ذكر ذلك في الفهرست ١٩٧، ومعجم الأدباء ٢٧١/١٨ .

-كتاب المغازي . (مفقود) .

-المتوج في العدل وحسن السيرة . (مفقود) .

-المرشد في أحكام المتكلمين . (مفقود) .

-المستطرف في الحمقي والنوادر . (مفقود) .

-المفصل في البيان والفصاحة . حوالي ثلثمائة ورقة وهو مفقود.

-المعجم[1] ذكر فيه الشعراء علي حروف المعجم .

-المقتبس في أخبار النحويين، البصريين وأول من تكلم في النحو، وأخبار الشعراء والرواة من أهل البصرة والكوفة . (مطبوع) .

-الموشح فيما أنكره العلماء علي بعض الشعراء من كسر ولحن وعيوب في الشعر . (مطبوع) .

-المفيد في أخبار الشعراء وأخبارهم في الجاهلية والإسلام وديانتهم ونحلهم .(مفقود) .

---

(١) طبع بتحقيق أ . عبد الستار فراج بمطبعة عيسي الحلبي بالقاهرة .

-الموثق في أخبار الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين على طبقاتهم . (مفقود) أشار إليه المرزباني في المقتبس .

-الواثق في أخبار الغناء وأخبار المغنيين والمغنيات الإماء والأحرار[1].

---

(١) الموشح ١٠ ، ١١.

كتاب الموشح

آثرنا أن نذكر نبذه مختصرة عن كتاب " الموشح " للمرزباني والذي نحن بصدد البحث فيه لتتضح الرؤية الخاصة التي من أجلها آثرنا البحث في هذا الكتاب دون غيره فنقول:

كتاب " الموشح " لمؤلفه المرزباني حققه[1] الأستاذ البيجاوي عام ١٩٦٥م ونشره بدار النهضة المصرية معتمدا علي نسختين خطيتين في دار الكتب، الأولي نسخة الشنقيطي وهي برقم (٢٦ أدب ش) وعدد صفحاتها ٢٣٨ صفحة وكتب بخط مغربي وضبطت ضبطا كاملا وعلي هوامشها تعليقات والأخرى تيمورية برقم (٥٥٥ أدب) في دار الكتب أيضا وهي مكتوبة بخط عادي وصفحاتها ٣٩٣ صفحة، وعليها تعليقات ومنقولة من الأولي، ونسخة دار الكتب كتبها محمد محمود بن التلاميد من نسخة مملوكة للوزير محمد بن العلقمي منقولة من نسخة لعبد السلام بن الحسن البصري (٣٦٦هـ) الذي نقلها من أصل المرزباني نفسه. إذن هي منقولة في حياة المرزباني (٣٨٤هـ) وثمة مخطوطة أخري (للموشح) في مكتبه جامعة الإسكندرية برقم (٨٧٤) وتقع في (٢٧٥) صفحة وكتب في آخرها " وكتبه سيد بن علي المرصفي ونقله من نسخة نقلت من نسخة الوزير عبد السلام بن الحسن البصري المنقولة من أصل المؤلف أبي عبيد الله المرزباني " وكان الفراغ منها غبة في ربيع الأول ١٣٣٥هـ – وبالمكتبة مخطوطة أخري برقم ٢٢٥ وتقع في ١٤٠ صفحة وبكل صفحة أربعة وثلاثون سطرا وكتب في أخرها " كتبه مالكه محمد محمود بن التلاميد ثم وقفه علي عصبته بعده وقفا مؤبدا فمن بدله فإثمه عليه، بقسطنطينية ٢٣ ربيع الآخر ١٢٩٢هـ".

---

(١) حققه في طبعته الثانية أ. البيجاوي وأما الطبعة الأولي فقد حققها أ. محب الدين الخطيب وشرح بعض ما فيها من الغموض.

وقد ذكر ياقوت الموشح باسم (الموسع) وابن النديم سماه (الموسخ) ويمتاز الموشح بأنه الأثر الأدبي الكامل الذي وصل إلينا من المرزباني تام الإسناد والمتن حتى الآن "[١].

ونكتفي بهذا القدر عن المؤلف وكتابه .

تعرض المرزباني في كتابه (الموشح) لمسائل بلاغية عديدة، مما يدل دلالة واضحة علي اهتمامه اهتماما بالغا بتلك النواحي، حيث وضع كل مسألة منها تحت بابها الخاص بها معنونا لها بما يناسبها. فتعرض للتشبيه حيث خص حديثه عن التشبيهات البعيدة تحت عنوان (الغلو) وقد نقل ما قاله ابن طباطبا العلوي من كتاب (عيار الشعر) كما نقل عن (الصناعتين) لأبي هلال العسكري ونختار مما ذكره من هذه الأبيات. التي لم يلطف أصحابها فيها ولم يوفقوا فيما أرادوا .

[البلاغة في الموشح]

التشبيهات البعيدة (الغلو) [٢].

قال أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي – قال النابغة الذبياني:

تَخْدى بِهِم أُدمٌ كَأنَّ رِحالَها عَلَقٌ أُريقَ عَلى مُتونِ صُوارِ

والأدم : الإبل العتاق. والعلق : الدم . الصوار: جماعة بقر الوحش.

يريد أن يقول: رحال الإبل قد ألبست الأدم الحمر، فشبه حمرة الرحال علي الإبل البيض بالدم المهراق علي ظهور البقر – فيقول العلوي أن هذا التشبيه لم يوفق صاحبه فيه ولا يعد من التشبيهات اللطيفة لأن كلامه ليس سهلا سلسا .

وفي كلام العلوي نظر لأن المناسبة بين المشبه والمشبه به واضحة لا لبس فيها، وقوله إن كلامه ليس سهلا سلسا مردود عليه لأن البيت جاهلي وصيغته الكلية من طراز ما ألف عن الجاهليين، فالنقد مستبعد.

---

(١) المرزباني والموشح – منير سلطان ٩٠، ٩١ بتصرف .

(٢) الموشح ١١٠، ١١١ ،١١٢.

وقول ساعده بن جؤية:

كَساها رَطيبُ الريشِ فَاعتَدَلَت لَـه قِداحٌ كَأعنـاقِ الظبـاءِ زَفـازِفُ

الضمير في كساها للنبل، الرطيب: الناعم. كأعناق الظبـاء: أي حسـان. رفازف: أي لها زخرفة إذا أديرت بالكف .

يقول شبه السهام بأعناق الظباء ولو وصفها الدقة كان أولى .

لا أدري المراد من قوله (ولو وصفها بالدقة كان أولي) لأن الشاعر إذا اتجه إلي ملحظ أحسّ به لا نقول له كان يجب أن نقول كذا، مما لا تحـس بـه ومما لم يحسن، والقداح تري في هيكلها كأنها أعناق الظباء، فالحكم علي الشاعر بإحساس غيره لا يمكن أن يقبل إلا إذا كان الشاعر قد أخطأ فيما اتجه إليه. ولكلٍ وجهة نظر فيما يتجه إليه .

التشبيه الحسن

ثم يتحدث المرزباني عن التشبيه الحسن فيذكر في (الموشح) تحدث محمـد بن أبي الأزهر: أحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه، وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ونبه فيه بفطنة على ما يخفى علي غيره وساقه برصف قـوي واختصـار قريب وعدل فيه عن الإفراط كقول بعضهم في القحافة [1]:

فلو أنّ مـا أبقيـتِ منِّـي مُعَلَّـقٌ بعُـودِ ثمـامٍ مـا تـأودَ عُودُهـا

ثم يقول: الثمام: نبت ضعيف، وأحدثه ثمامه. وهذا متجاوز كقول القائل:

وَيَمنَعُها مِن أنْ تَطيرَ زمامها

البيت مشهور ومتعارف في كتب النقد، وهو يصور ما أراد الشاعر مـن ضعف جسمه لدرجة أن الثمام و هو النبات الضعيف لا يحس، و لـذلك أري أن قوله متجاوز يوحي بأن في التشبيه ما يدعو إلي التجاوز وذلك غير صحيح: أما

---

(١) الموشح ٣١٠ .

الربط بين قوله هذا و قول الشاعر "كأنها عود بانة قصف" فهو ممـــا لا ينطبـــق عليه قول النقاد: جاء لأدنى مناسبة لأن الصلة غير واضحة تماما بين النصين.

التشبيه المعيب

يذكر المرزباني عن أبي العباس أحمد بن يحيي النحوي قال: مما يعـــاب علي قيس بن الخطيم قوله:

كَأَنَّها عود بانَةٍ قَصِفُ

ثم يعلق المرزباني بقوله " لأن المرأة تشبه بالعود المنثني لا بالمنقصف[1].

و هذا حق لأن القصف ينذر بالسقوط و العي، و هذا مالا يســتحب فـــي التشبيه، أما المنثني فأمر محبوب لا كراهة فيه بين الشعراء.

هذا...وقد تحدث المرزباني حديثا جيدا عن المعاينة والسماع في التشـــبيه آثرت أن أنقله بنصه.. حيث يقول...

قدم ذو الرمة الكوفة فلقيه الكميت فقال له : إني قد عارضتك بقصـــيدتك ، قال أي القصائد ؟ قال قولك:

ما بالُ عَينِكَ منها المـــاءُ يَنسَـكِبُ كَأَنَّهُ مِـــن كُلـــى مَفرِيَّـــةٍ سَـــرِبُ

قال: فأي شئ قلت: قال: قلت:

هل أنت عن طلب الإيفـــاع منقلـــب أم هل يُحَسِّن من ذي الشيبة اللعبُ

حتى أتي عليها قال: فقال له: ما أحسن ما قلت. إلا أنك إذا شبهت الشـــئ ليس تجئ به حيدا كما ينبغي، ولكنك تقع قريبا. فلا يقدر إنسان أن يقول أخطأت ولا أصبت. تقع بين ذلك. ولم تصف كما وصفت أنا ولا كمـــا شـــبهت: قـــال: وتدري لم ذاك ؟ قال: لا قال: لأنك شبهت شيئا قد رأيته بعينيك، وأنا أشبه مـــا

---

(١) الموشح ٤٣٠ .

وصف لي ولم أره بعيني، قال: صدقت، هو ذاك[١].

فهذا يدل علي أن العيان غير التخييل ، فالعيان يعطي من الملاحظة ما يفيد الدقة أما التخييل فقد يذهب بالمرء إلي أبعد ما يعطيه المقام ، وليس التخييل مهماً في كل موضع بل إنه يسمو عن الواقع في كثير من الشواهد الرائعة .

الاستعارة

تحدث المرزباني عن الاستعارة، والمعروف أنها الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي ، وقد تكون هذه المشابهة متعارفاً عليها مذكورة، وقد ترجع إلي إحساس الشاعر وتصوره وموقفه من الحدث الذي انفعل به، لذا رفضها بعض النقاد ربما لأنهم لم يفهموا القصد من ورائها.

فذكر المرزباني من هذا النوع ما سماه:

الاستعارة البعيدة

نقل المرزباني عن قدامه: عاب قوم علي أوس بن حجر قوله:

وَذاتُ هِـدمٍ عـارٍ نَواشِـرُها تُصـمِتُ بِالمـاءِ تَولَبـاً جَـدِعا

لأنه أفحش الاستعارة بأن سمي الصبي تولبا ، وهو الحمار .

ومثله قول الأخر:

فَما بَـرِحَ الوِلـدانُ حَتّـى رَأَيتُـهُ عَلى البَكرِ يُمريهِ بِسـاقٍ وَحـافِرِ

فسمي رجل الإنسان حافرا، وقالوا : وكل ما جري هـذا المجـري مـن الاستعارة قبيح لا عذر فيه [٢] . ولكن ما عذر ابن المعتز الذي يتعجب من هـذه الاستعارة !!....

---

(١) الموشح ٢٥٢ .

(٢) الموشح ٨١ .

قال أبو تمام :

شابَ رَأسي وَما رَأَيتُ مَشيبَ ال رَأسِ إِلا مِن فَضلِ شَيبِ الفُؤادِ

ويقول ابن المعتز: فيا سبحان الله، ما أقبح مشيب الفؤاد، وما كان أجرأه علي الأسماع في هذا وأمثاله. (١).عذره أنه لم يفهم أبا تمام .

وأنا أري أن قوله (تولبا جدعا) قد يراد منه التهكم بالطفل، فتشبيهه بالتولب لأمر نفسي يعنيه. لأنه أدري بمواقع الكلام وأنا مع من ينقد قول الشاعر (حافر) إذ لا يليق بالإنسان أن يوصف بما يطلق علي الحيوان .

وقول أبي تمام (شيب الفؤاد) لا اعتراض عليه، لأن كل عضو من الأعضاء له طفولة وشباب ومشيب ، فإذا ما استعرنا الشيب الفؤاد فذلك مقبول غير مرفوض .

ردئ الاستعارة

يقول الآمدي: وأنشد أبو العباس ابن المعتز في كتاب سرقات الشعراء " لسلم الخاسر " يعيبه بردئ الاستعارة في قوله يرثي موسي الهادي :

لَولا المَقابِرُ ما حَطَّ الزَمانُ بِهِ لا بَل تَوَلّى بَأَنفٍ كَلمُهُ دامي

وقال هذا ردئ كأنه من شعر أبي تمام، ليت لم يكن لأبي تمام من ردئ الاستعارة إلا مثل استعارة " سلم " هذه أو نحوها ونعوذ بالله من حرمان التوفيق (٢).

وتحامل الأمدي علي أبي تمام واضح في أكثر ما جاء في كتاب الموازنة، واستعارات أبي تمام الجيدة كثيرة، فلا يجوز أن نتحامل عليه بلا مناسبة لأنه بعيد عن هذا النص أصلا.

---

(١) الموشح ٣٧٨ .

(٢) الآمدي : الموازنة ٢٦٤/١ وانظر ص ٧٤ أيضا تحقيق السيد صقر دار المعارف ١٩٦١م .

الاستعارة غير المفيدة

أخبرني أبو عبد الله الحكيمي، قال: أخبرنا أحمد بن يحيي النحوي، قال: قال أبو عبيدة: قال منتجع بن نبهان: عابوا علي ذي الرمة قوله:

وَالقُرطُ فُي حُرّةِ الـذفرى مُعَلَّقَـةٌ تَباعَدَ الحَبلُ مِنهُ فَهـوَ يَضـطَرِبُ

الذفريان: ما عن يمين العنق و يساره .

تباعد الحبل منها: تباعد حبل العنق من القرط: لأنها طويلة العنق ليست بوقصاء.

قالوا: جعلت لها ذفري كذفري البعير[1] فاحتج ذو الرمة بشعر راعي الإبل قوله:"و ذفري أسيلة" . قال أبو عبيدة: فغضب العدويون و قالوا: كان يحتج بشعر راعي الإبل و هو أشعر منه: و جاءتهم العصبية: فقال المنتجع لقد كان يرويه و يجعله إماما.

و قال أبو عبيدة الذفري من المرأة موضع المقذ، وهو موضع يرشح من البعير خلف أذنه

فذو الرمة شاعر ألف الصحراء بما فيها من حيوان و نبات، فإذا شبه المرأة ببعض ما يوجد عند الحيوان فهو معذور بما يري ولا سيما أن تشبيه المرأة بالحيوان كثير، وأجمل ما توصف به في هذا المضمار أن تشبه بالظبي وذلك يستحسن لا يستقبح .

الاستعارة بالكناية

قال ابن طباطبا العلوي في عيار الشعر ونقله عنه المرزباني مستشهدا علي المجاز المباعد للحقيقة قال: أي العلوي يقول المثقب في وصف ناقته:

---

(١) في اللسان: الذفري من الناس ومن جميع الدواب من لدن المقذ إلي نصف القذال، فعلي هذا لا يكون نقدا.

تَقــولُ إذا دَرَأتُ لَهــا وَضــيني أَهَــذا دِينُــهُ أَبَــداً وَدينــي
أَكُــلُّ الــدَهرِ حَــلٌّ وَارتِحــالٌ أَمــا يُبقــي عَلَــيَّ وَلا يَقينــي

فهذه الحكاية عن ناقته وهي من المجاز المباعد للحقيقة، وإنما أراد الشاعر أن الناقة لو تكلمت لأعربت عن شكواها بمثل هذا القول.

والنقد الموجه للشاعر بأنه جعل الناقة تحس بإحساس الحيوان غير مفهوم إطلاقا، لأن التشخيص الأدبي الذي ينزل الطلل الجامد منزلة الإنسان بمخاطبة الشاعر بمثل قول امرئ القيس:

أَلا عِم صَباحاً أَيُّها الطَلَلُ البالي .....

هذا التشخيص الجميل الذي يجعل الطلل الجامد بمنزله الإنسان فيحيا ويقال له ألا عم صباحا، يجيز بكل سهولة أن تكون الناقة ذات الإحساس تشعر بما يشعر به الإنسان، والتشخيص في الأدب العربي من أرقي أنواع التصوير الأدبي، فالاعتراض موضع نظر.

وما ذكره بعد ذلك من أبيات عنترة وبشار تنحو المنحي التشخيصي الرائع وهي بذلك تعتبر ردا عليه

كما ذكر أبياتا أخري لمجاز غيره مقارب للحقيقة فذكر قول عنترة في وصف فرسه:

فَازوَرَّ مِن وَقعِ القَنا بِلَبانِهِ وَشَكا إِلَيَّ بِعَبرَةٍ وَتَحَمحُمِ
لَو كانَ يَدري ما المُحاوَرَةُ اِشتَكى وَلَكانَ لَو عَرَفَ الكَلامَ مُكَلِّمي

وكقول بشار:

غَدَت عانَةٌ تَشكو بِأَبصارِها الصَدى إِلى الجَأبِ إِلّا أَنَّها لا تُخاطِبُه[1]

---

(١) الموشح١٢٦ والعانة : جماعة حمر الوحش، الجأب: الحمار الغليظ، وهو محلها

والشعراء الثلاثة قد استعملوا المجاز ، والفرق بين المنقب وبين عنترة وبشار أنه أطنب وهما أوجزا، وهو أعطانا الصورة منفصلة وهما تركا لنا إكمال التفصيل، أما المجاز هنا القائم علي إنطاق ما لا ينطق فهو بارع معبر ولم يبعد المنقب عن الحقيقة.

المجاز المرسل

كما يذكر المرزباني في " موشحه" أيضا إشارات عامة إلي المجاز المرسل وذلك في نقله...أخبرني محمد بن يحيي قال: حدثنا محمد بن الحسين والبلعي قال: حدثنا أبو حاتم،عن أبي عبيدة، قال: لما أنشد ذو الرمة بلالا مدحه،فبلغ قوله:

رَأَيتُ النَاسَ يَنتَجِعونَ غَيثاً ..... البيت

قال بلال : يا غلام أعلف ناقته ، فإنه لا يحسن أن يمدح .

فلما خرج قال له أبو عمرو وكان حاضراً: هلا قلت له: إنما عنيت بانتجاع الناقة صاحبها، كما قال الله عز وجل [1]. ﴿ **واسأل القرية التي كنا فيها** ﴾ يريد أهلها. وهلا أنشدته قول الحارثي:

وَقَفْتُ علي الدِّيارِ فكلمتني فما ملكت مدامعها القلوص

يريد صاحبها. فقال ذو الرمة يا أبا عمرو: أنت مفرد في عملك وأنا في عملي وشعري ذو أشباه[2].

وقول بلال في نقد ذي الرمة " جعلتني علفاً " ليس بشئ لأن المجاز من أبواب السعة في القول ولا يمكن أن يعاب ذو الرمة بهذا، ولعل بلالا أراد أن يسكت ذا الرمة لحاجة في نفسه.

وقائدها. وأراد أن العطش انمار أحد أحداقها وأذبلها فعرف منها الجأب شدة العطش – لسان العرب ج٢/٥ ، ٦ .

(١) سورة يوسف آية ٨٢.

(٢) الموشح ٢٣٤ ،٢٣٥ .

الحديث عن البلاغة

حدثني أحمد بن محمد الجوهري، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثنا محمد بن زياد، قال: حدثنا ابن عائشة عن بعض رجاله قال: مر أعرابي بالفضل الرقاشي يوما وهو يتكلم، قال: فوقف عليه يستمع، فظن فضلٌ أنه قد أعجب بكلامه، فقال له: يا أعرابي: ما البلاغة فيكم ؟ قال: الإيجاز :قال:فما تعدون العي فيكم ؟ قال: ما كنت فيه منذ اليوم[١].

لا شك أن الأعرابي ناقد صائب لأنه يريد الإيجاز الدقيق الذي يغني عن تطويل لا طائل منه.

ثم يذكر قول محمد بن يحيي قال: حدثني عون بن محمد الكندي قال: حدثني الجاحظ سنة ثلاثين ومائتين قال: حدثني أبو نواس أنه غاب عن بغداد، فقدم إليه رجل، فقال له هل من خبر ؟ فقال:نعم، أنشد بعض الشعراء مدحا في زبيدة – وهي تسمع – فقال:

أزبيدة ابنة جعفر ... طوبى لزائرك المثاب
تعطين من رجليك ما ... تعطي الأكف من الرغاب

فوثب إليه الخدم يضربونه، فمنعتهم، وقالت: أراد خيراً فأخطأه.

ومن أراد خيراً فأخطأ أحب إلينا ممن أراد شرا فأصاب.سَمِع قولهم: شمالك أندي من يمين غيرك، وقفاك أحسن من وجه غيرك، وظن أنه إذا قال هذا كان أبلغ في المديح، أعطوه ما أمل وعرفوه ما جهل [٢].

وأري أن السيدة زبيدة قد اعتصمت بالصبر الجميل، ولم ترد أن يكون قول الشاعر لغواً بين الناس، و إلا فالنقد صائب والشاعر ذو غفلة، وأكاد أقول أنه تعمد الهجاء، كما يخيل لي أن الواقعة مكذوبة من أساسها ولا يمكن أن يقول

---

(١) الموشح ٣٦٦ .

(٢) الموشح ٤٣٤ .

عاقل لزوجة أمير المؤمنين تعطين من رجليك.

الحديث عن الفصاحة

تحدث المرزباني في (موشحه) عن الفصاحة حديثاً متفرقاً عند نقده للشعراء فنقل مساوئ أبي تمام ومآخذ ابن المعتز عليه حيث يحصرها في:

البعد عن الفصاحة.

ففي رأي ابن المعتز أن أبا تمام قد بعُد عن الفصاحة، حيث أن الفصاحة عند ابن المعتز تدور حول الألفاظ، وهو يفصل بينها وبين البلاغة التي اصطلح لها لفظ (البديع) وأدخل فيه فنون الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها والمذهب الكلامي، فالفصاحة عن ابن المعتز في:

١- انتقاء الألفاظ:

فليس من الفصاحة قول أبي تمام:

تسعين ألفاً كآساد الشرى نضجت أعمارهم قبل نضج التين والعنب

يقول ابن المعتز:

وقد سبق الناس إلى عيب هذا البيت قبلي وهو من خسيس الكلام.

ولا من الفصاحة قوله:

كان في الأجفلي وفي النقرى عر فك تضر العموم تضر الوحاد

والقول بأن الفصاحة في الكلام فقط بمعنى أنها تدور حول الألفاظ، قول لا يخلو من نظر، لأن الألفاظ أوعية للمعاني، وبدون احتوائها على المعنى تكون لغواً، فلا يمكن إهمال النظر إلى المعاني بحال، والمتأخرون من البلاغيين قد تأثروا بابن المعتز حين جعلوا باباً لفصاحة الكلمة وكأنها هي الأصل والمعنى تابع.

يقول ابن المعتز: وهذا من الكلام البغيض والغريب المستكره من البدوى فكيف إذا جاء من ابن قرية متأدب.

ونحن لا ننكر سقطات أبي تمام في تلمس العربية، ولكن ليس كل كلامه سقطات، بل هي من الندرة بحيث لا تخفض من مقامه، ولذلك احتل في الأدب مكانه الرفيع.

٢- والفصاحة مناسبة اللفظ للمعنى:

فليس من الفصاحة قول أبي تمام في وقعة لبابك انهزم فيها ومدح الأفشين:

ولي ولم يظلم وما ظلم امرؤ حث النجاء وخلفه التنين

يقول ابن المعتز: فلو كان أجهد نفسه في هجاء الأفشين هل كان يزيده على أن يسميه التنين؟ وما سمعت أحداً من الشعراء شبه به ممدوحاً بشجاعة ولا غيرها.

ولا قوله في الغزل:

ومن قد شفني فصبرت حتى ظننت بأن نفسي نفس كلب

يقول ابن المعتز:

فلعن الله من واصلة من الأحباب على هذا .

ولعلي بهذه النقدات أتساءل هل لو قرأنا ديوان ابن المعتز ألا نجد فيه من الغريب والسقطات مثل ما نجد عند أبي تمام ومن الذي ترضى سجاياه كلها؟.

٣- والفصاحة في البعد عن التكلف:

فليس من الفصاحة قول أبي تمام:

مستسلم لله سائس أمة بذوى تجهضمنا[1] له استسلام

يقول ابن المعتز: ففي هذا البيت – كما ترى – تبغيض وتكلف.

حيث تكلف في استخدام الألفاظ النادرة الاستعمال وهذا يخل بالفصاحة.

---

(١) يقال تجهضهم الفحل: إذا علا أقرانه ويعير جهضهم الجنبين أي رحبهما.
لسان العرب ج٢/٢٤٦ .

ولا في قوله:

يومُ أفاض جــوي أغــاض تعزيــاً خاص الهوى يجري حجاه المزيــد

يقول ابن المعتز: وهذا من الكلام الذي يستعاذ بالصمت من أمثاله.

ففي تعليق ابن المعتز ما يكفي لبيــان غرابــة الألفــاظ والتكليــف فــي استحضارها.

٤- ومن الفصاحة عند ابن المعتز (حسن الجوار بين الألفاظ)

يقول أبو تمام:

وقــد ســدّ مندوحــة القاعصــاء مـــنهم وأمســـك بالنافقـــاء[1]

ويقول:

إذا مشى يمشي الدفقي أو ســرى وصــل الســرى أو ســار وجيفــا

ويقول ابن المعتز:

ولم يعب من هذه الألفاظ شيئاً غير أنها من الغريب المصدود عنه، وليس يحسن من المحدثين استعمالها لأنها لا تجاور بأمثالها ولا تتبع أشــكالها فكأنهــا تشكو الغربة في كلامهم.

٥- ومن الفصاحة عنده أيضاً (البعد عن ساقط الألفاظ).

يقول أبو تمام:

لــو كــان كلفهــا عبيــد حاجــة يومــاً لزنـــى شـــدقماً وجـــديلا

يقول ابن المعتز: ما أحسن قوله: (لزنى شدقماً وجديلا) وما معنى تزينه.

والبيت في وصف المطايا، وعبيد هو عبيد الراعي - قال شارح ديــوان أبي تمام: شدقم وجديل: فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر يضــرب بهمــا

---

(١) وفي اللسان القاعصاء: حجر اليربوع الأول الذي يدخل فيه - والنافقاء: موضع يرتقه من حجره، فإذا أتى من قبل القاعصاء ضرب النافقاء ففتحه، ويمشي الدفقي إذا أسرع وباعد خطوه وهي مشيه يتدفق فيها ويسرع . اللسان ج٧/٤٣٩ - والوجف والوجيف: ضرب من سير الخيل والإبل. اللسان ج٩/٢٢٥ ، ٢٢٦.

المثل – وفي الوساطة: "أظنه لو وجد لفظة" أسقط من (زنى) وأقل مناسبة للمعنى لاستعمالها.

كل ما ذكره المرزباني عن أبي تمام منسوباً إلى ابن المعتز مشهور في أكثر كتب النقد، وأبو تمام له غرائبه في هذا الباب، فليس في الأمر جديد بالنسبة لما قيل في هذه الأبيات.

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال:

زعم الأصمعي أن الكميت أخطأ في قوله:

أرعد وأبرق يا يزيد فما وعيدك لي بضائر

وزعم أن هذا البيت الذي يروي لمهلهل مصنوع مُجدَث وهو قوله:

أنبضوا معجس القس وأبرقنا كما توعد الفحول الفحولا

وأن أرعد خطأ وأنه لا يقال إلا (رعد وبرق) إذا أوعد وتهدد، وهو "يرعُد ويبرق" وكذلك يقال: رعدت السماء وبرقت، وأرعدنا نحن وأبرقنا: إذا دخلنا في الرعد والبرق.

وقال الشاعر: فقل لأبي قابوس ما شئت فارعدْ

قال: وروى غير الأصمعي: أرعد وأبرق على ضعف.

وألاحظ أن قوله: "أرعد" فعل أمر ولو كان فعلاً ماضياً لقلنا إن "أرعد" خطأ، ولكن الهمزة في الأمر تنفي هذا الخطأ.

وأخبرنا أبو بكر الجرجاني قال: حدثنا المبرد قال: حدثنا الجرمي عن الأصمعي قال: أنشدنا أبو عمرو لرجل من كنانة:

إذا جاوزت من ذات عرق ثنية فقل لأبي قابوس ما شئت فارعد

قال: وقال ابن أحمر:

يا جَلّ ما بعُدت عليك بلادنا فابرق بأرضك ما بدالك وأرغد

وقال طفيل:

ظعائن أبـرقن الخريـف وشـمنه وخفـن الهمـام أن تقـاد قنابلـه

قال الجرمي:

كان الأصمعي ينشد هذا بعقب رده على الكميت قوله:

أرعد وأبرق يا يزيد

ويقول: وليس هذا بكلام فصيح[1].

وإذا كانت هذه النصوص معزوة إلى من يستشهد بشعرهم فلـيس لنـا أن نقول إنها خطأ ولكن تقول إنها جاءت على غير القياس.

وذكروا في الحث على الفصاحة وذكرها في بعـض المـواطن .... قـال هرمة:

سالا عن الجود والمعروف أين هما فقلـت إنهمـا ماتـا مـع الحكـم
ماتا مع الرجـل المـوفى بذمتـه يوم الحفاظ إذا لـم يـوف بالـذمم
ماذا بمنبح لـو تنْـبشْ مقابرهـا مـن التهـدم بـالمعروف والكـرم

قال ابن دريد: فسألت عن قوله: "لو تنبشْ" لِم جزم؟ فقالوا: قال قوم مـن النحويين: كراهة لكثرة الحركات ولكنها مع ذلك موضع اعتراض لأن "لو" ليست جازمة.

كما قال الآخر:

إذا اعوَجَجْنَ قلـتُ صـاحبْ قـوِّم بالـدّو أمثـالَ السـفين العُـومِّ[2]

قال: ولو قال: "تُبشتْ مقابرها" استراح من "تنبش" وكان كلاماً فصيحاً.

ومن البُعد عن الفصاحة [التتابع]

---

(١) الموشح ٢٥٤، ٢٥٥.

(٢) الموشح ٢٨٦، ٢٨٧.

أخبرنا أبو بكر الجرجاني قال: حدثنا أبو العيناء قال: أنشد إسحاق الموصلي الأصمعي قوله في غضب المأمون عليه.

يا سَرْحةَ الماء قد سُدّتْ مواردُه ... أما إليك طريقٌ غيرُ مسدود

لحائم حام حتى لاحيام به ... مُحلاً عن طريق الماء مطرود

فقال الأصمعي: أحسنت في الشعر، غير أن هذه الحاءات لو اجتمعت في آية الكرسي لعابتها"[1] وهي تخل بالفصاحة.

وهذا نقد ذوقي، لأن الحاء من حروف الحلق وتواليها على هذا النمط يثقل على اللسان.

ومن البعد عن الفصاحة "استعمال الغريب".

ومن استعمال الغريب الذي كان يستبشع مثله من العجاج ورؤبه قوله وهو يصف ظبية:

تقرو بأسفله ربولاً غضةً ... وتقيل أعلاه كناساً فوْلفا

أراد ملتفاً ويقال الإنسان يقرو الأرض إذ سار فيها ينظر أمرها وحالها.

والربول: جمع ربل وهو نبات يصيبه برد الليل ونداه فينبت بالمطر[2] والكناس مولج للوحوش من البقر، والظباء تستظل فيه.

وقوله:

أدنيت رحلي إلى مدْن مكارمه ... إلىّ يهتبل اللّذْ جئت اهتبل

"واللذ" بمعنى الذي.

وقال:

إذا مشى يمشي الدفقي أو سري ... وصل السُّري أو سار سار وجيفا

الدفقي: مشية سريعة.

---

(١) الموشح ٣٦٩.

(٢) في الهامش صوابه بلا مطر، وفي القاموس: الدبل: ضروب من الشجر يتفطر في آخر القيظ بعد الهيج يبرد الليل من غير مطر وجمعه ربول.

قال الشاعر:

من الخفـرات لا تمشـي الـدفَّقيَّ ولا تختـال فـي الثـوب المعـار

ولم نعب من هذه الألفاظ شيئاً غير أنها من الغريب المصدور عنه، وليس يحسن من المحدثين استعمالها لأنها لا تجاور بأمثالها، ولا تتبع أشكالها، فكأنهـا تشكو الغربة في كلامهم"[١].

- والنقاد يصفون رجز رؤبة بالغريب ويستشهدون به في اللغة فقط، أمـا في مجال الشعر الفني فرؤيه منه بمكان بعيد.

قال أحمد بن عبيد الله عمار: قد سلك قوم من شعراء الأعـراب الزلـل والخطأ في أشعارهم، مع رقة أذهانهم، وصحة قرائحهم، واقتدارهم على غريب الكلام، فقال رجل منهم يصف رأس بعيره:

تـرى شـئون رأسـه العـواردا مضـبورة شـبأً حدائـدا

ضبر براطيل جلاميدا[٢]

وقال:

وما رأيت عالماً إلا هو يذم هذا القول ويستقبح هذا النسيج[٣].

وغرابة الألفاظ في هذه النصوص موضع اتفاق من الجميع.

- ومن الخروج عن الفصاحة: الألفاظ المستكرهة

قال ابن طباطبا في عيار الشعر ص١٠٢: ومن الأبيات المستكرهة الألفاظ القلقة القوافي، الرديئة النسيج، فليست تسلم من عيب يلحقها في حشوها أو قوافيها

---

(١) الموشح ٣٨١، ٣٨٢.

(٢) والضبر من ضبر عليه الصخر يضبره أي نضـده - والضـبر: جمـع الأجـزاء - والبراطل: جمع برطيل وهو حجر أو حديد صلب خلقه ليس مما يطولـه النـاس ولا يجدونه تنفر منه الرحا [اللسان مادة برطل].

(٣) الموشح ٣٠٦.

أو ألفاظها ومعانيها .

يقول أبي العيال الهذلي:

ذكـــرت أخـــي فعـــاودني صـــداع الـــرأس والوصـــب

فذكر (الرأس) مع (الصداع) فَضَلَ.

وكقول أوس:

وهـــم لمقِّـــل المـــال أولاد علّـــةٍ وإن كان محضاً في العمومة مخـــولاً

فقوله (المال) مع (مُقِل) فَضَلَ.

وكقول عبد الرحمن بن كعب بن مالك الخزرجي:

فبدت وقد لان هاديهـــا وحاركُهـــا والقلب منها مُطار القلـــب محـــذور

وقول الأعشى:

اســـتأثر الله بالوفـــاء وبالـــ عـــدل وولـــي الملامـــة الـــرجلا

أراد الإنسان.

وقول الخطيئة:

قروا جارك العيمان لمـــا جفوتـــه وقلصّ عن برد الشـــراب مشـــافره

أراد شفتيه[1].

قال قدامة بن جعفر: من الكلام المستثقل في الغزل قول عبد الرحمن ابـــن عبد الله القس:

إن تنـــأ دارك لا أمَـــلُّ تَـــذْكُراً وعليـــك منـــي رحمـــة وســـلام

لا أرى في بيت عبد الرحمن القس شيئاً مستثقلاً، فذكر الرحمة والســـلام على النائي البعيد أمر طبيعي، وقد يقال إن المعنى عادي لا جديد فيه ولكن ذلك

---

(١) الموشح ١٢٣، ١٢٤.

شيء والمستثقل شيء آخر.

ومن المستخشن قول هذا الشاعر أيضاً:

سَلاَّم ليت لساناً تنطقين به قبل الذي نالني من صوته قُطِعا

فما رأيت أغلظ ممن يدعو على معشوقة أجادت في غنائها بقطع لسانها، لأن المذهب في الغزل إنما هو الرقة واللطافة، والشكل والدماثة، واستعمال الألفاظ اللطيفة المستعذبة المقبولة غير المستكرهة، فإذا كانت جاسية مستوخمة كان ذلك عيباً[1].

- ومن الخروج عن الفصاحة " التناقض " .

قال قدامة بن جعفر في نقد الشعر ص٢٤٢: الفرق بين الممتنع والمتناقض أن التناقض لا يكون ولا يمكن تصوره في الوهم، والممتنع لا يكون ويجوز تصوره في الوهم، ومما جاء في الشعر وقد وضع الممتنع فيه فيما يجوز وقوعه قول أبي نواس:

يا أمين الله عش أبداً دُمْ على الأيام والزمن

فليس يخلو هذا الشاعر من أن يكون تفاءل لهذا الممدوح بقوله: عش أبداً أو دعا له، وكلا الأمرين بما لا يجوز مستقبح، ولعل معترضاً أن يعترض من هذا بأن يجعل هذا القول غلواً يلزمنا تجويزه كما أصّلنا تجويز الغلو في الشعر واستجادته، فالفرق بين هذا الباب وباب الغلو أن مخارج الغلو إنما هي على يكاد وليس في قول أبي نواس : عش أبداً موضع يحسن فيه "يكاد" لأنه لا يحسن على مذهب الدعاء أن يقال: يا أمين الله تكاد تعيش أبداً.

وهذه المبالغة ليست غلواً إذا نظرنا إلى العرف العام في الدعاء للكبراء لأن الشاعر يريد إطالة العمر، وقوله "عش أبداً" كناية عن ذلك فليس حقيقة حتى

---

(١) الموشح ٢٨٧.

تؤخذ عليه.

ثم قال قدامه في نقد الشعر ٢٣٦ ومما جاء في الشعر من المتناقض على طريق المضاف قول عبد الرحمن القس:

وإني إذا ما الموت حلّ بنفسها يُزال بنفس قبل ذاك فأقبرُ

فقد جمع بين قبل وبعد وهما من المضاف، لأنه لا قبل إلا لبعد، ولا بعد إلا لقبل، حيث قال: إنه إذا وقع الموت بها – وهذا القول كأنه شرط وضعه ليكون له جواب يأتي به – وجوابه هو قوله: يزال بنفسي قبل ذاك. وهذا شبيه بقول قائل: إذا انكسر الكوز انكسرت الجره قبله. فجعل هذا الشاعر ما هو قبل بعداً – وإنا لا أدري أين كلمة "بعد" التي كانت موضع الاعتراض، فالبيت ليس فيه إلا كلمة "قبل" فقط فكيف يقول أنه جمع بين قبل وبعد.

ثم قال أيضاً في ص١٢٣ من نقد الشعر: ومما جاء من المتناقض على سبيل الإيجاب والسلب قول عبد الرحمن القس:

أرى هجرها والقتل مثلين فاقصروا ملامكم فالقتل أعفى وأيسر

فأوجب الشاعر للهجر والقتل أنهما مثلان، ثم سلبهما ذلك بقوله: إن القتل أعفى وأيسر، فكأنه قال: إن القتل مثل الهجر وليس هو مثله.

لربما يقصد الشاعر "الإضراب" بمعنى "بل" القتل أعفى وأيسر وهذا كثير في الشعر العربي.

ومما يجري هذا المجرى قول يزيد بن مالك الغامدي حيث قال:

أكف الجهل عن حلماء قومي وأعرض عن كلام الجاهلينا

ثم قال في نفس القصيدة بعد هذا البيت:

إذا رجل تعرض مستخفاً لنا بالجهل أو شك أن يحينا

فقد أوجب الشاعر في البيت الأول لنفسه الحلم والإعراض عن الجهال، ونفى ذلك بعينه في البيت الثاني بتعديه في معاقبة الجاهل إلى أقصى مراتب

العقوبات وهو القتل[١].

إن اختلاف العواطف عند الشاعر يجيز له أن يعقب على قول سابق بما يخالفه لأن النفوس لا تقف عند إحساس واحد. فالنقد صائب إذن .

– ومن المتناقض على سبيل القنية والعدم.

قول ابن نوفل:

لأعـــلاج ثمانيـــة وشـــيخ كبيـــر الســـن ذي بصـــر ضـــرير

فلفظة "ضرير" وهي تصريف فعيل من الضر – إنما تستعمل في الأكثر للذي لا بصر له، وقول الشاعر في هذا الشيخ أنه ذو بصر وأنه ضرير تناقض من جهة القنية والعدم، رذلك أنه كأنه يقول: إن له بصراً ولا بصر له فهو بصير أعمى[٢] ربما أراد أنه مع وجود بصره فإنه لا يحسن التصرف ولا يستفيد مما يراه .

ثم قال قدامة كذلك في ٢٣٤ من نقد الشعر: ومن التناقض قول أبي نواس يصف الخمر:

كأن بقايا ما عفا من حبابها تفاريق شيب في سوار عذار

فشبه حباب الكأس بالشيب، وذلك قول جائز لأن الحباب يشبه الشيب في البياض وحده لا في شيء آخر غيره.

ثم قال:

تردت به ثم انفري عن أديمها تفري ليل عن بياض نهار

فالحباب الذي جعله في هذا البيت (الثاني) كالليل هو الذي في البيت الأول أبيض كالشيب، والخمر التي كانت في البيت الأول كسوار العذار هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار، وليس في هذا التناقض منصرف إلى جهة من العذر،

---

(١) الموشح ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩.

(٢) الموشح ٢٩٩.

لأن الأبيض والأسود طرفان متضادان، وكل واحد منهما في غاية البعد عن الآخر، فليس يجوز أن يكون شيء واحد يوصف بأنه أبيض وأسود إلا كما يوصف الأدكن في الألوان بالقياس إلى كل واحد من الطرفين اللذين هو وسط بينهما، فيقال: إنه عند الأبيض أسود وعند الأسود أبيض، وليس فيما قاله أبو نواس حال توجب انصراف ما قاله إلى هذه الجهة(١).

وقال الشيخ أبو عبيد الله المرزباني رحمه الله: وأنكر على زهير قوله:

حيِّ الديار التي لم يعفُها القدمُ بلى وغيرّها الأرواح والديم

من جهة المتناقضة، لأنه نفيّ في زول تغير الديار بقدم عهدها ثم أوجب ذلك في آخره(٢).

إن الشاعر أضرب بقوله "بلى" عما ذكره في الشطر الأول والإضراب من وسائل التعبير المعترف به.

– ومن الخروج على الفصاحة: التكلف وسوء الطبع

فقد جاء في الشعر والشعراء (٨٣٩) وفي طبقات ابن المعتز (٢٦٣) ما يفيد أن التكلف وسوء الطبع والخروج عن المألوف كله يخل بالفصاحة، ونذكر ما يفيد ذلك على هذا النحو: لقد هاجى أبا قابوس النصراني (العتابي) فغلبه في كثير مما جرى بينهما على ضعف مُنّه أبي قابوس في الشعر ثم قال في هذه القصيدة:

ماذا عسى مادح يثني عليكَ وقد ناداكَ في الوَحْي تقديس وتطهير
فتَّ الممادح إلا أن ألسُننا مُسْتَنْطِقات بما تُخفي الضمائير

فقال الممادح: والمدائح أحسن منها وأخفُ على السمع، وأشبه بألفاظ الحذّاق والمطبوعين، وقال: "مستنطقات" "ونواطق" أحسن وأطبع، ثم قال:

---

(١) الموشح ٣٣١، ٣٣٢.
(٢) الموشح ٦١.

"الضمائير" فختم البيت منها بأثقل لفظة لو وقعت في البحر لكدرته، وهي صحيحة ولكنها غير مألوفة، ولا مستعذبة، وما شيء أملك بالشعر بعد صحة المعنى من حسن اللفظ، وهذا عمل التكلف وسوء الطبع[١].

وأنا مع الناقد في استثقاله كلمة "الضمائير" وهي ثقيلة في النثر فكيف بها في الشعر.

في ذكر المعاني

تحدث المرزباني في موشحه عن المعاني فذكر تحت عنوان "من عيوب المعاني" نقلاً عن ابن قدامه قال: ومن عيوب الشعر: "فساد القسم"[٢] وذلك يكون إما أن يكررها الشاعر أو يأتي بقسمين أحدهما داخل تحت الآخر في الوقت الحاضر، أو يجوز أن يدخل أحدهما تحت الآخر المستأنف، أو أن يدع بعضها فلا يأتي به.

فأما "التكرير" فمثل قول هُديل الأشجعي:

فما برحت تومي إليها بطرفها وتومض أحيانا إذا خصمها غفل

لأن "تومض وتومئ" بطرفها متساويان في المعنى.

وقد نقول إن الإدعاء أقوى من الوميض، فاللفظتان غير متفقتين تماماً في المعنى.

وأما دخول أحد القسمين في الآخر فمثل قول أحدهم:

أبادرُ إهلاكَ مُسْتهلكٍ لمالي أو عبث العابث

فعبثُ العابث داخل في إهلاك مستهلك.

وقد يريد الشاعر تأكيداً للمعنى فيأتي به في صورتين مختلفتين.

---

(١) الموشح ٣٦١.

(٢) ويقصد فساد التقسيم.

ومثل قول أمية بن أبي الصلت الثقفي:

لله نعمتُنـــا تبـــارك ربُّنـــا رب الأنـــام ورب مـــن يتأبـــد

فليس يجوز أن يكون أمية أراد بقوله من يتأبد الوحش: وذلك أن "من" لا يقع على الحيوان غير الناطق، وعلى[1] هذا فمن يتوحش داخل في الأنام أيضاً.

وأنا أقول إن إطلاق "ما" على غير العاقل هو المطرد المتعارف، ولكن كثيراً من الشعراء يجعلون "من" بمعنى (ما) دون مؤاخذة كقول العباس بن الأحنف:

أسرب القطاهل من يعير جناحه لعلي إلى من قد هويت أطير

وإما أن يكون القسمان مما لا يجوز دخول أحدهما في الآخر فمثل قول أبي عدي القرشي:

غير ما أن أكون نلت نوالاً من نداها عفواً ولا مهيناً

فالعفو قد يكون مهيناً، والمهني قد يجوز أن يكون عفواً.

وقد ضُحك من أنوك سأل مرة فقال: علقمة بن عبده جاهلي أو من بني تميم؟ فلأن الجاهلي قد يكون من بني تميم ومن بني عامر: والتميمي يكون جاهلياً وإسلامياً ما عيب وضحك به.

ومن ذلك قول عبد الله بن سليم الغامدي:

فهبطت غيثاً ما تفزَّعَ وحْشُه من بين سربٍ ناوٍ وكُنوس

ناوي: سمين. يقال: نوا أي سمن، والسمين يجوز أن يكون كانساً أو راتعاً، والكانس يجوز أن يكون سميناً أو هزيلاً.

---

(١) في نقد الشعر ١١٠ وإذا كان الأمر على هذا فمن لا يتوحش داخل في الأنام أو يكون أراد بقوله يتأبد أي يتقرب من الأبد وذلك داخل في الأنام.

وأما القسم التي يترك بعضها مما لا يحتمل الواجب تركه فمثل قول جرير في بني حنيفة:

صـــارت حنيفـــةُ أثلاثـــاً فثُلـــثُهم من العبيـــد وثُلـــثُ مـــن مواليهـــا

وبلغني أن هذا الشعر أنشدَ في مجلس، ورجل من بني حنيفة حاضر فيه، فقيل له: من أيهِّم أنت؟ فقال: من الثلث الملغي ذكره.

ومن عيوب المعاني: فساد المقابلات

وهو أن يضع الشاعر معنىً يريد أن يقابله بآخر، إما على جهة الموافقة أو المخالفة، فيكون أحدُ المعنيين لا يخالف الآخر ولا يوافقه، مثال ذلك قـــول أبـــي عدي القرشي:

يا بن خير الأخيار من عبد شمس أنت زيـــنُ الـــدنيا وَغيـــثُ الجنـــود

فليس قوله: "غيث الجنود" موافقاً لقوله: "زين الدنيا" ولا مضـــاداً، وذلـــك عيب.

قد يريد الشاعر بقوله "غيث الجنود" تنبيه الممدوح إلى الاهتمام بجنده فذكر ذلك تلميحاً في القصيدة دون الطلب الرسمي.

ومنه قول هذا الرجل أيضاً في مثل ذلك:

رحُمـــاءٌ بـــذي الصـــلاح ضـــرا بـــون قـــدماً لهامـــة الصِّـــنديد

فليس للصنديد فيما تقدم ضد ولا مثل، ولعله لو كان مكان قوله "الصنديد" "الشرير" كان ذلك جيداً، لقوله: ذو الصلاح[1].

ومن عيوب المعاني "مخالفة العرف".

قال قدامة في نقد الشعر (٢٤٤) من عيوب المعاني مخالفة العرف والإتيان بما ليس في العادة والطبع مثل قول المرّار:

---

(١) الموشح ١١٢.

وخال علـى خـديك يبـدو كأنـه سنا البدر في دَعجاءَ بـادٍ دُجونهـا

فالمتعارف المعلوم أن الخيلان سود أو ما قاربها في ذلك اللون، والخـدود الحسان إنما هي البيض، وبذلك تُنعت فأتى هذا الشاعر بقلب المعنى.

وأنا أقول إن الخال وإن كان أسود لدى الناس فإنه في عين العاشق كالبدر بياضاً وأحلى مرأىً فالنقد صواب وهو في موضعه:

وقال: ومن عيوب المعاني أيضاً أن ينسب الشيء إلى ما ليس منه.

كما قال خالد بن صفوان:

فإنْ صورة راقتْكَ فـاخبرْ فربمـا أمرّ مذاقُ العـود والعـود أخضـر

فهذا الشاعر بقوله:

..... ربمـا أمرّ مذاقُ العود والعـود أخضـر

كأنه يومئ إلى أن سبيلَ العود الأخضر في الأكثر أن يكون عذباً أو غيرَ مُرّ، وهذا ليس بواجب، لأنه ليس العود الأخضر بطعم من الطعوم أولـى منـه بالآخر[1].

وأنا أقول إن الخضرة دائماً توحي بالنضج وتمثل ما يريـده الآكـل مـن طعام، فإذا جاءت مريرة فهي على غير الأصل وهذا ما تخيله الشاعر.

ثم يذكر "فساد التفسير" كعيب من عيوب المعاني ويذكر في ص٢٣٠ مـن نقد الشعر .. مثل قول بعض المحدثين:

فيأيها الحيرانُ فـي ظُلـم الـدُّجى ومن خاف أن يلقاه بغى من العـدي
تعال إليه تلق مـن نـور وجهـه ضياءً ومن كفيه بحراً مـن النـدى

والعيب في هذين البيتين أن هذا الشاعر لما قدّم في البيـت الأول الظلـم

---

(١) الموشح ٢٩٤، ٢٩٥.

وبغى العدى كان الجيد أن يفسر هذين المعنيين في البيت الثاني بما يليق بهما، فأتى بإزاء الإظلام بالضياء، وذلك صواب، وكان يجب أن يأتي بإزاء بغى العدي بالنصرة أو بالعصمة أو الوزر، وإنما جانس ذلك مما يحتمي به الإنسان من أعدائه، فلم يأت بذلك وجعل مكانه ذكر الندى، ولو كان ذكر في البيت الأول الفقر أو العدم لكان أتى به صواباً[1].

ثم نقل المرزباني بعض متفرقات للمعنى وعلاقته مرة باللفظ وأخرى بالوزن وثالثة بالقافية ورابعة بالسجع وخلافه مما يُعد عيباً في المعاني أو في اللفظ. فذكر المعنى واللفظ فقال :

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا الحسين بن فهم قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: تذاكروا بحضرة الأصمعي شعر العباس بن الأحنف فتسخطه وقال:

ما يؤتى من جودة المعنى ولكنه سخيف اللفظ. ألا ترى قوله:

اليوم مثل الحول حتى أرى ... وجهك والساعة كالشهر
إن الذي أضمرُ عند الذي ... أظهر كالقطرة في البحر
لو شُق عن قلبي قرى وسطه ... ذكرك والتوحيد في سطر

ثم قال:

يا من تمادى قلبه في الهوى ... سال بك السيل وما تدري
أبعد أن صرت أحُدوثةً ... في الناس مثل الحسن البصري

لعمري إن الحسن البصري مشهور، ولكن ليس هذا موضع ذكره.

أبو نواس لا يقصد الحسن البصري الإمام المشهور، فليس هذا الرجل العظيم موضع الأحدوثة، ولكنه يقصد التاجر حسن البصري المشهور في ألف

---

(١) الموشح ٢٩٨ بتصرف.

ليلة وليلة، والناس تعلم عن أحواله الكثير.

قال ابن طباطبا في عيار الشعر ٩٦ والعسكري في الصناعتين ٧٤: ومن الأبيات التي قصرّ فيها أصحابها عن الغايات التي أجروا إليها، ولم يسدوا الخلل الواقع فيها معنىً ولا لفظاً قول امرئ القيس:

فللسَّوط ألْهُوب وللساق درة ... وللزجر منه وقع أخرج مهذب

فقيل له إن فرساً يحتاج إلى أن يستعان عليه بهذه الأشياء لغير جواد.

هذا النقد تردد في كثير من كتب الأدب ولكن امرأ القيس يريد أن يذكر شدته على الفرس وإتقانه الجري وحثه المركوب على الجري بما يدل على مهارة الراكب، إذن فالمراد بذلك وصف شجاعة الراكب ودربته على قيادة فرسه، ومعرفته بهذه الأساليب التي تبرز فروسيته أمام الناس.

من عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى

قال قدامه في نقد الشعر ٢٤٦ وأبو هلال في الصناعتين ١٨٨، ومن عيوب الشعر "الإخلال" وهو أن يترك من اللفظ ما يتم به المعنى .. مثال ذلك قول عبد الله بن عتبة بن مسعود:

أعاذلُ عاجلُ ما اشتهى ... أحبُّ من الأكثر الرائث

فإنما أراد أن يقول: عاجل ما اشتهى مع القلة أحب إليّ من الأكثر المبطئ فترك "مع القلة" وبه يتم المعنى.

للشاعر أن يوحي بما يدل على المعنى دون أن يذكر اللفظ، فقوله: عاجل ما اشتهى ينبئ عن أن العاجل قليل ما جاء في العُجُز.

ومثل ذلك قول عروة بن الورد:

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ... ومقتلهم عند الوغي كان أعذرا

فإنما أراد أن يقول: عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم في السلم، ومقتلهم عند الوغي أعذر فترك "في السلم".

ومن هذا الجنس قول الحارث بن حلزة:

والعـــيش خيـــر فـــي ظـــلا ل النّـــوك ممـــن عـــاش كـــدا

فأراد أن يقول والعيش خير في ظلال النوك من العيش بكدٍ فـي ظـلال العقل، فترك شيئاً كثيراً، وعلى أنه لو قال ذلك لكان في هذا الشعر خلل آخـر، لأن الذي يظهر أنه أراده هو أن يقول: إن العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل فأخل بشيء كثير.

ومن هذا الجنس نوع آخر وهو كما قال بعضهم:

لا يرْمَضوْن إذا خـرت مشـافرهم ولا ترى منهُم فـي الطعـن مَيـآلا
ويفشـلون إذا نـادى ربيـئهمْ ألا اركـبُنَّ فقـد آنسـتُ أبطـالا

الربئ: الطليعة، فأراد أن يقول: "ولا يفشلون" فحذف "لا" فعاد المعنى إلى الضد.

وقال: ومن عيوب هذا الجنس عكس العيب المتقدم وهو ان يزيد في اللفظ ما يفسد به المعنى، مثال ذلك قول بعضهم:

فما نطفةٌ من ماء نحـض عُذَيبَـة تُمنَعَ مـن أيـدي رُقـاة ترومهـا
بأطيب منْ فيها لـو أنـك ذُقْتَـه إذا ليلة أسـجت وغـارت نجومهـا

فقول هذا الشاعر "لو أنك ذقته" زيادة توهم أنه لو لم يذقه لم يكن طيبا[1] .

وهذا النقد غير مقبول لأنه يريد بقوله: لو إنك ذقته. أن حبيبتـه مصـونة متمنعة لا يجرؤ أحد على تقبيلها، فقوله هذا له وجهه السديد.

ومن عيوب ائتلاف المعنى والوزن

قال قدامة في نقد الشعر ١٣٠ ومن عيوب الشعر: "المقلـوب" وهـو أن يضطر الوزن الشعري إلى إحالة المعنى فيقلبه الشاعر إلى خلاف ما قصد بـه،

---

(١) الموشح ٢٩٥، ٢٩٦.

مثال ذلك لعروة بن الورد:

فلـــو أنـــي شـــهدتُ أبـــا معـــاذٍ غـــداة غـــداً بمهجتـــه يفـــوقُ
فـــديتُ بنفســـه نفســـي ومـــالي ومـــا آلـــوكَ إلا مـــا أطيـــق

أراد أن يقول فديت نفسه بنفسي فقلب المعنى.

وللحطيئة:

فلـــو أنـــي شـــهدتُ أبـــا معـــاذٍ غـــداة غـــداً بمهجتـــه يفـــوقُ
فـــديتُ بنفســـه نفســـي ومـــالي ومـــا آلـــوكَ إلا مـــا أطيـــق
فلما خشيتُ الهون والعير ممســـك على زَعْمه ما أثبت الحبـــل حـــافره

أراد الحبلُ حافره فانقلب المعنى.

قال الشيخ أبو عبيد الله المرزباني رحمه الله تعالى: ومثله للمجنون:

يضمُّ إلـــيَّ الليـــلُ أطفـــال حُـــبكم كما ضـــمَّ أزرار القمـــيص البنـــائق

أراد كما ضم النبائق أزرار القميص.

قال: ومنها "المبتور" وهو أن يطول المعنى عن أن يحتمل العروض تمامه في بيت واحد، فيقطعه بالقافية، ويتممه في البيت الثاني، مثال ذلك قول عروه بن الورد:

فلو كـــاليوم كـــان علـــيَّ أمـــري ومَـــنْ لـــك بالتـــدبرُّ فـــي الأمـــور

فهذا البيت ليس قائماً بنفسه في المعنى، ولكنه أتى في البيت الثاني بتمامه فقال:

إذاً لملكـــتُ عصـــمة أم وهـــبٍ على ما كان مـــن حَسَـــك الصُّـــدُور

فالمعنى في البيت الأول ناقص فأتمه في البيت الثاني[1].

نقول إن استقلال البيت بالمعنى ليس بلازم فقد يكون المعنى مبسوطاً ويضطر الشاعر إلى الإفاضة فيه ونمثل لذلك بالبيت الذي استحسنه النقاد وهو قول المجنون:

كأن القلب ليلة قيل يغدي ... بليلى العامرية أو يراح
قطاة عزها شرك فباتت ... تجاذ به وقد علق الجناح

فقطاة خبر كأن في البيت الأول وهو بذلك لم يستقل بنفسه.

قال: وتأمل ابن الرومي قول أبي نواس للعباس بن عبيد الله الهاشمي:

كيف لا يدنيك من أملٍ ... من رسول الله منْ نَفرة

وسمع طعن الرواة عليه في أن جعل الرسول ﷺ مضافاً إلى العباس ابن عبيد الله – وهو ﷺ أولى بأن يضاف إليه العباس. فقال ابن الرومي يمدح إسماعيل بن بلبل:

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم ... كلا لعمري ولكن منه شيبانُ
وكم أبٍ قد علا بابنٍ ذُر شرف ... كما علا برسول الله عدنان
تسمو الرجال بآباء، وآونة ... تسمو الرجال بأبناء وتزدان

المعنى الذي أراده أبو نواس فأخطأه. وابن الرومي حيث قلب معنى أبي نواس، وفضل الممدوح على آبائه لم يهمل مدح سلفه، وذلك أنه أتبع هذا القول بأن قال:

---

(١) الموشح ١١٣، ١١٤.

ولم أقصّر بشـيبان التـي بلغـت بها المبـالغَ أعـراق وأغصـان[1]

من عيوب ائتلاف المعنى والقافية

قال قدامة في نقد الشعر ٢٥٤: ومن عيوب الشعر أن تكـون القافيـة مستدعاه، وقد تُكلف في طلبها، فاشتغل سائر البيت بها مثل ما قال أبوتمـام الطائي:

كالظبْيَةَ الأدماء صـافت فأرتعـت زهـر العَـرار الغـضّ والجثجاثـا

فجميع هذا البيت مبني لطلب هذه القافية، وإلا فليس في وصـف الظبيـة بأنها ترتعي الجثجاث كبير فائدة، لأنها إنما توصف الظبية إذا قُصد لنعتها بأحسن أحوالها، بأن يقال بأنها تعْطو الشجر، لأنها حينئذ رافعة رأسها، وتوصف بـأن ذعراً يسيراً قد لحقها كما قال الطرماح:

مثـل مـا عاينـت مخْرُوفـةً نصّـها ذاعـرُ روعٍ مـؤام

فأما أن ترتعي الجثجاث فلا أعرف له معنى في زيادة الظبية في الحسـن والجثجاث ليس من المراعي التي توصف.

يخيلّ إليّ أن أبا تمام حين نظم هذه القصيدة وجعل الثاء قافيتهـا تـورط فيمـا يؤاخذ به من مثل هذه الكلمات، ولو اختار قافية غير الثاء لنجا من هذه الهنات.

وقال في ص٢٥٥ ومن عيوب هذا الجنس أن يؤتى بالقافية لتكون نظيـرة لأخواتها في السجع، لا لأن لها فائدة في معنى البيت كما قال على ابـن محمـد البصري:

وسابغةِ الأذيـال زَعْـفٍ مُفاضـةٍ تكنفهـا منـي نجـاد مخطـطُ.

في وصف الدرع وتجويد نعتها، وليس يزيد في جودتها أن يكون نجادهـا مخططاً دون أن يكون أحمر أو أخضر أو غير ذلك من الأصباغ ولكنه أتى بـه

---

(١) الموشح ٣٤٧، ٣٤٨.

من أجل السجع[١].

وأنا أرى أن النجاد المخطط قد يكون بخطوطه أدعى للنظر وأعجب للرائي فليست الكلمة مما ينتقد.

التقديم والتأخير والتعقيد

من الأمور البلاغية التي يلجأ إليها الشاعر إذا تطلب الأمر: التقديم والتأخير فيؤخر ما حقه التقديم ويقدم ما حقه التأخير، وهذا الأمر إن لم يقم به الشاعر الحاذق أدت به إلى التعقيد والإغلاق.

وقد نقل المرزباني في هذا الباب ما أُنكر على الجعدي وهو قوله:

وشمول قهوة باكرتُها في التباشير من الصبح الأول

يريد مع التباشير الأول من الصبح، فقدم وأخر[٢].

وأنكر على الشماخ قوله:

تخامصُ عن برد الوشاح إذا مشت تخامُصَ حافي الخيل في الأمعز الوغي

يريد تخامص حافي الوجي في الأمعز، فقدم وأخر[٣].

وتخامص: أي تتخامص وهي يتجافى عن المشي – الأمعز: الأرض الغليظة ذات الحجارة. الوجي: الحافي. وهو هنا صفه للحافي – ويريد أن هذه المرأة يؤذيها الودعُ الذي في وساحها ببرده فتتجافى عنه في مشيها.

أنكر على عمرو بن قميئة قوله:

لما رأت ساتيدما استعبرت لله درّ اليوم من لامها

يريد لله در من لامها اليوم، فقدم وأخر[٤].

وهذا كله لاشك في صحة نقده، وهو معيب عند الشعراء المبتدئين، فكيف

---

(١) الموشح ٢٩٩، ٣٠٠.

(٢) الموشح ٨٥.

(٣) الموشح ٨٨.

(٤) الموشح ١٠٣.

بالشعراء المشاهير من أمثال النابغة الجعدي والشماخ.

قال قدامه (١٢٩) ومن عيوب الشعر التفصيل، وهو ألا ينتظم للشاعر نسق الكلام على ما ينبغي لمكان العروض، فيقدم ويؤخر. كما قال دريد بن الصمة:

وبلغ نميراً إن عرضت ابن عامر فأيُ أخ في النائبات وطالب

ففرق بين نمير بن عامر بقوله: إن عرضت[١].

وقد وضع قوم الكلام في غير موضعه، فقدموا وأخروا نحو قوله:

صددت فأطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

يريد: وقلما يدوم وصال.

وقال الآخر:

إن الكريم وأبيك يعتمل إن لم يجد يوماً على من يتكل

يريد: من يتكل عليه، فقدم وأخر.

وقال الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حَيُّ أبوه يقاربهُ

وإنما أراد: وما مثله في الناس حيُ يقارنه إلا مملك أبو أمه أبوه، فتعسف هذا التعسف الشديد، ووضع أشياء في غير مواضعها: وإنما مدح بهذا الشعر خال هشام، فقال: ما في الناس حيَّ يقارب خال هشام إلا هشام الذي أبو أمه أبوه، يعني أن جدَّ هشام لأمه هو أبو الممدوح. وإنما زدنا في شرحه ليفهم.

وهذا قبيح جداً وإنما نصب مملكاً لأنه استثناء مقدم، كما قال: "ما لي إلا أباك صديق" إذا أردت ما لي صديق إلا أبوك[٢].

وكل ذلك لا اعتراض عليه.

كتب إليّ أحمد بن عبد العزيز الجوهري، أخبرنا عمر بن شبه قال:

---

(١) الموشح ١١٣.

(٢) الموشح ١٣٣، ١٣٤.

للفرزدق في شعره افتخار بعيد المعنى لا وجه له، من ذلك قوله:

أنا ابن خندف والحامي حقيقتها قد جعلوا في يدي الشمس والقمرا

ومنها:

أخذنا بآفاق السماء عليكمُ لنا قمراها والنجوم طوالع

ومنها:

إن السماء التي من دارم خُلقت والأرض كانا لنا عزاً ومفتخرا[1]

أخبرني عبد الله بن يحيى العسكري قال: حدثنا أحمد بن بشر المرثدي، عن أبي سهيل عبد الله بن ياسين، عن أبي عبيدة قال: كان عامر ابن عبد الملك ابن سمع بن مالك بن مسمع وأخوه مسمع – ويلقب كردين. يقدم الفرزدق ويفضله، وكان عامر يقدم جريراً ويحتج على الفرزدق بما عقّد فيه من شعره، نحو قوله:

فلولا أن أمَّك كان عمي أباها كنت أخرس بالنشيد

ومثل قوله:

وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حيٌّ أبوه يقاربه

وأشباه ذلك فقال كردين: أنت يا أخي لا تعقل، سقط الفرزدق شيء يمتحن الرجال فيه عقولها حتى يستخرجوه، وسقطُ جرير عيّ[2].

وهذا افتعال من كردين لأن السقط سقط سواء كان من جرير أو من الفرزدق فتسويغ السقط من الفرزدق لا يقبل ولاسيما إذا كان جرير أسهل أسلوباً من الفرزدق، فشعره حينئذ من الوضوح بالدرجة التي لا يبلغها الفرزدق.

عيب على طرفه قوله:

كأن أصوات من إيغالهن بنا أواخر الميس أصوات الفراريج

يريد كأن أصوات أواخر الميس أصوات الفراريج من إيغالهن بنا.

وقوله أيضاً:

---

(١) الموشح ١٤٣.

(٢) الموشح ١٦٢.

نضا البرد عنه وهو ذو من جنونه أجاري من تهاك صوت صلاصل

التسهاك: عدو شديد وريح سهوك والصلاصل: صوت شديد. يريد وهو من جنونه ذو أجاري[١].

وانكروا على عروة بن أذنيه قوله:

وأعملت المطية في التصابي رهيص الخُفّ داميةَ الأظل
أقول لها لهانَ عليّ فيما أحبُّ فما اشتكاؤك أن تكلي

يريد: أقول لها: لهان عليّ فيما أحب أن تكلي فما اشتكاؤك[٢].

عيب على أبي حيّه النميري قوله:

كما خط الكتاب بكف يوماً يهودي يقارب أو يزيل

لأنه أراد: كما خط الكتاب يوماً بكف يهودي يقارب أو يزيل، فقدم وأخر. ومثله لامرأة من بني قيس.

هما أخوا في الحرب من لا أخاله إذا خاف يوماً بنوةً ودعاهما

تريد: هما أخوا من لا أخاله في الحرب[٣].

وقد أنكر الأصمعي على الراعي قوله:

فلما أتاها جبتر بسلاحه مضى غير مبهور ومنصله انتفى

أراد انتفى منصله فقدم وأخر[٤].

وكل هذا يدخل تحت الإخلال بالفصاحة حيث إن التقديم والتأخير إذا كان للتعقيد فهو مخل بالفصاحة.

---

(١) الموشح ٢٤٢.
(٢) الموشح ٢٧٣.
(٣) الموشح ٢٩٠.
(٤) الموشح ٢١١.

الفصل والوصل

قال الصولي: وخير الأبيات ما استغنى بعض أجزائه ببعض وصوله إلى القافية مثل قول امرئ القيس:

الله انجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرحل

ألا ترى أن قوله "الله أنجح ما طلبت به" كلام مستغنٍ بنفسه، وكذلك باقي البيت على أن في البيت واو عطف جملة على جملة، وما ليس فيه واو عطف أبلغ في هذا وأجود، وهو مثل قول النابغة في اعتذاره للنعمان:

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب

فقوله في أول البيت كلام مستغنٍ بنفسه، وكذلك آخره، حتى لو ابتدأ مبتدئ فقال (أي الرجال المهذب) لاعتذار أو لغيره لأتى بكلام مستوفى لا يحتاج إلى سواه[1].

هذا نظر بعض الأقدمين من البلغاء، ولكن استغناء الشيء عن ما يلحق به ليس موضعاً للتفوق وحده، فلابد أن يكون الانسجام متصلاً بين الكلام في البيت الواحد وهذا متحقق في البيتين .

التكلف

قال أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي في عيار الشعر (٦٧) من الأشعار الغثة الألفاظ، الباردة المعاني، المتكلفة النسج، القلقة القوافي، المضادة للأشعار المختارة قول الأعشى:

بانت سعاد وأمس حبلها انقطعا واحتلت الغمر فالجدين فالفرعا

لا تسلم منها خمسة أبيات، ونذكرها ليوقف على التكلف الظاهر فيها:

---

(١) المرزباني والموشح ٤٠٢.

بانت وقد أسأرت في النفس حاجتها ... بعد ائتلاف وخير الود ما نفعا
تعصي الوشاة وكان الحب آونة ... مما يُزيّن للمشغوف ما صنعا
وكان شيء إلى شيء فغيرَّه ... دهرٌ يعود على تشتيت ما جمعا
وأنكرتني وما كان الذي نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا
قد يترك الدهر في حلقاء راسية ... وهياً ويُنزلُ منها الأعصم الصدّعا
وما طلابك شيئاً لست مُدركهُ ... إن كان عنك غرابُ الجهل قد وقعا

وذكرها بأسرها

وقال: فهذه القصيدة ستة وسبعون بيتاً، التكلف فيها ظاهر بينٌ إلا في ستة أبيات وهي:

تقول بنتي وقد قربتُ مُرتحلاً ... يا رب جنب أبي الإتلاف والوجعا
بذات لوث عفرناه إذا عثرت ... فاللعن أدنى لها من أن أقول لعا
بأكلب كسراء النبل ضاربة ... ترى من القد في أعناقها قطعا
يا هوذَ إنك من قوم أولى حب ... لا يفشلون إذا ما آنسوا فرعا
أغز أبلج يستسقي الغمام به ... لو قارع الناس عن أحسابهم قرعا
لا يرقع الناس ما أو هي وإن جهدوا ... طول الحياة ولا يوهون ما رقعا

قال: وفيها خطأ ظاهر، ولكنها بالإضافة إلى سائر الأبيات نقية بعيدة من التكلف.

والذي يوجبه نسج الشعر أن يقول: يا رب جنب أبي الإتلاف والأوجاع أو التلف والوجع[1].

وأنا أرى أن الحكم على أبيات تتجاوز السبعين بالتكلف دون أن تنص على مواضع هذا التكلف، تسرع، لا يجوز مع شاعر كبير كالأعشى لأن القارئ يريد

---

(١) الموشح ٦٥، ٦٦.

أن يطمئن على سلامة الحكم بالدليل القاطع لا بالقول العام.

ويقول ومثل ما قاله في التكلف والبشاعة قوله أيضاً في قصيدة:

لعمرك ما طول هذا الزمن على المرء إلا عناء معن
فإن يتبعوا أمره يرشدوا وإن يسألوا ما له لا يضن
وما أن على قلبه غمرة وما إن بعظم له من وهن
وما إن على جارة تلفة يساقطها كساقط اللجن

ويقول: فمثل هذا الشعر وما شاكله يصدئ الفهم ويورث الغم[١].

وقال:

فإن صريح الحزم والرأي لامرئ إذا بلغته الشمس أن يتحولا

وليس هذا بشيء، ربما استطاب الناس التحول إلى الشمس، وإنما أخذه من كلام العامة: "إذا بلغتك الشمسُ فتحول"[٢].

وكون معنى البيت من كلام العامة لا يعيبه إذا كان الكلام صائباً في موضعه.

أخبرني محمد بن يحيى قال: قال المجنون:

تداويت من ليلى بليلي وحبها كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

فكان هذا من أحسن المعاني بأحسن الألفاظ، وإن كان الأصل فيه قول الأعشي:

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

فأخذه أبو نواس فوالله ما بلغه، وظهر في لفظه تكلف فقال:

---

(١) المرزباني والموشح ٣٦١.
(٢) الموشح ٣٨٦.

دع عنك لومي فإن اللـوم إغـراء وداوني بـالتي كانـت هـي الـداء

والكلفة في قوله: "بالتي كانت هي الداء"[١].

جميع هذه الأبيات جيدة لا تكلف فيها، ولا أدري لماذا يعيب أبـا نـواس بقوله: "وداوني بالتي كانت هي الداء" مع أن المعنى صحيح لأن الخمر أسُّ الداء وسببه عن يقين.

البديع:

أقصد به البديع بصورته الأخيرة التي حددها السكاكي، لأنها كانت تستعمل في العصر الأول بمعنى البلاغة، وابن المعتز يستعملها أيضاً بهذا المعنى، وسبقه العتابي والأصمعي في حديثه عن بشار بأنه سلك طريقاً لم يسلكه أحد، فانفرد به وأحسن فيه وهو أكثر فنون الشعر وأقوى على التصرف وأغزر وأكثر بـديعاً، وأذكر أن العتابي حين ذكره عند أبي نواس كان يعيب عليه الإفراط فيه، وكذلك ابن المعتز حين تكلم عن الاستعارة المكنية عند أبي تمام بأنهـا (مـن البـديع المقيت) فالنفور مصدره الإفراط والحق معهم.

ومن ذلك ما أخذه ابن المعتز في مطابقة أبي تمام السيئة قوله:

سرتْ تستجير الدمع خوف نوى غـدٍ وعـاد قتـادا عنـدها كـل مرقـد
لعمـري لقـد حـررت يـوم لقيتـه لو أن القضـاء وحـده لـم يبـرد

وقال: لم تخرج ها هنا المطابقة خروجاً حسناً في كل شيء[٢].

وأنا أوافقه على ذلك.

الجناس المرفوض

قال علي بن هارون ذكر على بن مهدي الكسروي أن أبا تمام قال: وددت

---

(١) الموشح ٤١٧، ٤١٨.

(٢) المرزباني والموشح ٤٠٣، ٤٠٤.

أن لي بنصف شعري بيت أبي سعيد المخزومي: حَذْق الآجال آجال.

ولم يزل يجول في نفسه حتى قال:

ومها من مها الخدور وآجا ل ظباء يسرعن في الآجال

قال علي بن هارون: وهذا مما غلظ فيه أبو تمام لأن الآجال جمع إجل وهو القطيع من البقر: يقال: سرب من قطا وسرب من نساء وسرب من ظباء ولكن أين الغلط؟ رأى المخزومي أن حدق الظباء يسرعن في إنهاء أجل العاشق. ورأى أبو تمام أن الظباء كلها لا أحداقها، أي كل ما فيها قتال.إلا أن السلف التزم بالتغزل بعيون المها وجب على ألا يعدو ما وصفوا؟ هكذا أراد المخزومي[1].

وهذا النقد لا يخلو من نقد، فإن كان المخزومي خصّ العيون فقط، فأبو تمام حين يريد الظباء، إنما يريد عيونها لأن الشعراء يستحسنون عيون الظباء، وليس بلازم أن يذكر العين بالذات.

ومن الجناس المستجلب لغرض المشاكلة قول أبي تمام:

خشنت عليه أخت بني خشين

يقول ابن المعتز: وهذا الكلام لا يشبه خطاب النساء في مغازلتهن، وإنما أوقعه في ذلك محبته ها هنا لتجنيس وهو بهجاء النساء أولى.

وقوله:

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون أمذهب أم مذهب

يقول ابن المعتز:غلبت على مذهبه السماحة فكان فيها مذهباً يظنه بعض الناس[2].

وتكلف أبي تمام واضح في كثير من أبياته، ولكنه لا يعصف بفضله لأنه قليل جوار محامده الكثيرة.

---

(١) المرزباني والموشح ٤٠٤، ٤٠٥.

(٢) المرزباني والموشح ٣٥٠.

المبالغة

حدثنا محمد بن إبراهيم قال: حدثنا أحمد بن أبي خثيمة، عن محمد بن سلام، عن أبان بن عثمان البجلي، قال: دخل كثير على عبد الملك فأنشده، وحدثني محمد بن أحمد الكاتب. قال: حدثنا أحمد بن يحيى النحوي، عن محمد ابن سلام، قال: قال يونس: أنشد كثير عبد الملك مدحته التي يقول فيها:

على ابن أبي العاصي دلاص حصينة أجادَ المسَدّي سردها وأذالها
يؤد ضعيف القوم حمل قتيرها ويستضلع القوم الأشم احتمالها

فقال له عبد الملك: قول الأعشى لقيس بن معدي كرب أحبّ إليّ من قولك إذ تقول:

وقال ابن أبي خثيمة في حديثه ألا قلت كما قال الأعشي:

وإذا تجيء كتيبة ملمومة خرساءُ يخشى الذائدون نهالها
كنت المقدم غير لابس جنةٍ بالسيف تضربُ معلماً أبطالها

فقال: يا أمير المؤمنين، وصف الأعشى صاحبه بالطين والخرق والتغرير، ووصفتك بالحزم والعزم فأرضاه .

قال الشيخ أبو عبد الله المرزباني رحمه الله تعالى: رأيت أهل العلم بالشعر يفضلون قول الأعشى في هذا المعنى على قول كثير، لأن المبالغة أحسن عندهم من الاقتصار على الأمر الأوسط، والأعشى بالغ في وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جُنة، على أنه وإن كان لُبْسُ الجُنّة أولى بالحزم وأحق بالصواب، ففي وصف الأعشى دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه، لأن الصواب له، ولا لغيره إلا لُبْسُ الجنّة[1].

وكل ذلك ملاحظات فردية لا تعلو بشاعر عن شاعر.

---

(١) الموشح ١٩٦، ١٩٧.

وقال محمد بن أحمد العلوي في عيار الشعر (٤٥) من الأبيات التي أغرق قائلوها في معانيها قول النابغة الجعدي:

بلغنا السماء نجدة وتكرما ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

وقول الطرماح:

لو كان يخفى على الرحمن خافية ... من خلقه خفيت عنه بنو أسد
قوم أقام بدار الذل أولهم ... كما أقامت عليه جذمه الوتد

وقول زهير:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا[1]

وقول قيس بن الخطيم:

طعنت ابن عبد الله طعنة ثائر ... لها نفذ لولا الشعاع أضاءها
ملكت بها كفي فأنهرت فتقها ... يرى قائم من دونها ما وراءها

وقال أبو نواس:

وأخفت أهل الشرك حتى إنه ... لتخافك النطف التي لم تخلق[2]

وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي، عن محمد بن يزيد المبرد، قال: في المحدثين إسراف وتجاوز وغلو وخروج عن المقدار، من ذلك قول بكر ابن النطاح:

تمشي على الخزّ من تنعمها ... فيشتكي رجلُها من النزف
لو مرّ هارون في عساكره ... ما رفعت طرفها من السجف[3]

والمبالغات كثيرة في الشعر، ولا تذم المبالغة لأنها مبالغة إلا إذا تجاوزت

---

(١) الموشح ٣٠٧.
(٢) الموشح ٣٠٨.
(٣) الموشح ٣٦٦.

الحد، بل يكون النقد إذا وجه لها خطأً في المعنى.

عدم التناسب

عيب على الشعراء كل ما خالف العرف والعادة من خروج عن المألوف وعدم مراعاة الفنون البلاغية، فقد قال المبرد: والذي عابه نصيب على الكميت في بيته الذي يقول:

وقد رأينا بها حوراً منعمة بيضاً تكامل فيها الدَّل والشَنَبُ

فالذي عابه عليه في هذا البيت قوله : (تكامل فيها الدل والشنب).

وهو قبيح جداً وذلك أن الكلام لم يجر على نظم، ولا وقع إلى جانب الكلمة ما يشاكلها، وأول ما يحتاج إليه القول أن ينظم على نسق وأن يوضع على رسم المشاكلة[١].

وهذا مما يقبل.

التضمين

وذكروا من عيوب الشعر "التضمين" وهو عندهم من تعلق المعاني بالأبيات بعضها ببعض وعدم استقلال البيت بمعناه وهو من العيوب التي أشاروا إليها، نذكرها نحن كفن من الفنون البديعية التي اشتمل عليها كتاب الموشح "وجاء به ... قال الشيخ أبو عبد الله المرزباني رحمه الله تعالى: وعابوا على امرئ القيس قوله وهو مضمن:

أبعد الحارث الملك ابن عمرو وبعد الملك حجر ذي القباب
أرجى من صروف العيش ليناً ولم تغفل عن الصم الهضاب[٢]

ثم جاء من المضمن قول أبي العتاهية:

يا ذا الذي في الحب يلحى أما والله لو كلفت منه كما

---

(١) الموشح ٢٥٢ بتصرف.
(٢) الموشح ٤٧.

كلفتُ من حب رخيم، لما ... لمت على الحب، فذرني وما
ألقى، فإني لست أدري بما ... بليتُ إلا أنني بينما
أنا بباب القصر في بعض ما ... أطوف في قصرهم إذ رمى
قلبي غزل بسهام، فما ... أخطأ بها قلبي، ولكنما
سهماه عينان له، كلما ... أراد قتلي بهما سلما

والمضمن عيب شديد في الشعر، وخير الشعر ما قام بنفسه، وخير الأبيات عندهم ما كفى بعضه دون بعض[1].

إن كثيراً من القدماء يذهبون إلى أن البيت يجب ان يقوم بنفسه، وهذا ما خطأه النقد الحديث، لأن للشاعر أن ينطلق في شرح معانيه بإسهاب حتى يبلغ النهاية دون أن يتقيد بانتهاء القول في بيت واحد، ولا أدل على صدق ما أقول من أن القدماء جميعاً استحسنوا قول قيس ليلى:

كأن القلب ليلة قيل يغدي ... بليلى العامرية أو يراح
فقطاة عزها شرك فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناح

فقطاة خبر كأن في البيت الأول وهو بذلك لم يستقل بنفسه.

وقد سبق بيانه والإشارة إليه.

براعة الاستهلال

هي قيمة من القيم التي يهتم بها النقاد، وهي ترد إلى ذكاء الشاعر ورهافة حسه وإدراكه أن لكل مقام مقالا، مراعياً مقتضى الحال في التعبير، وهذا جرير يقول عنه الصولي: ومما يعد على جرير قوله لبشر:

قد كان حقك أن تقول لبارق ... يا آل بارق فيم سب جرير

---

(١) الموشح ٣٢٧.

وليس كذا يخاطب الأمراء[١].

ومن يدري لعل قبل هذا البيت أبياتاً تمهد لها لأن جريرا في مكانته الشعرية أوعى من أن يهجم على الموضوع دون تمهيد.

ولعل أطرف ما سجله المرزباني أن ذا الرمة دخل على عبد الملك وكانت عيناه تسيلان ماء وأنشده:

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلي مفرية سرب

ومن هنا تكلم البلاغيون عن (براعة الاستهلال) أي مراعاة مقتضى الحال وقدر المقال[٢].

لذلك أخفق في بدء مديحته فجانبه الصواب.

وفي هذا المعنى أنقل ما جاء في عيار الشعر (١٢٢).

" وينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره ومفتتح أقواله، مما يتطير منه أو يستجفي من الكلام والمخاطبات كذكر البكاء ووصف الخطوب الحادثة فإن الكلام إذا كان مؤسساً على هذا المثال تطير منه سامعه.

ومن الابتداءات التي جانب أصحابها الصواب فيها قول الأعشى:

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما ترد سؤالي

وقول أبي نواس:

أربع البلي إن الخشوع لبادي عليك وإني لم أخنك ودادي

ومثل إنشاد البحتري لأبي سعيد الثغري:

لك الويل من ليل تباطأ أواخره

---

(١) المرزباني والموشح ٢٩٨، ٢٩٩ بتصرف.

(٢) المرزباني والموشح ٣١٧، ٣١٨ بتصرف.

فقال له أبو سعيد: الويل لك والحرب[١].

هذا وقد عيب على أبي تمام ... فيما قاله في الديوان ص٣.

قدك اتئب أربيت في الغُلواء

قدك: حسبك. واتئب: استحى يا هذا. وأربيت: زدت في الغلواء: في الارتفاع في عذلي، والغالي في الشيء: الزائد فيه.

فقيل إنها من الابتداءات البشعة[٢].

وأنا باستثناء مطلع الأعشى فليس فيه ما يعاب.

وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي، عن محمد بن يزيد المبرد قال: مما يعاب على أبي تمام قوله:

تثغى الحرب منه حين تغلي مراجلها بشيطان رجيم

فجعل الممدوح هو الشيطان الرجيم[٣].

والاستشهاد بهذا البيت في براعة الاستهلال خطأ لأن البيت لم يكن مطلع قصيدة وإنما مطلعها قول أبي تمام:

أرامةُ كنت مألف كل ريم لو استمتعت بالأنس المقيم

وعيب على إسحاق الموصلي قوله:

ضنت سعاد غداة البين بالزاد وأخلفتك فما توفى بميعاد

فما أعجب أمر إسحاق في هذا الابتداء واستجازته[٤].

---

(١) الموشح ٣٠١ بتصرف.
(٢) الموشح ٣٧٤.
(٣) الموشح ٣٧٤.
(٤) الموشح ٣٦٩.

السرقات الشعرية

يقول المرزباني: قال أحمد بن أبي طاهر وأبو ضياء بشر بن يحيى، قال أبو تمام:

فكاد بأن يرى للشرق شرقاً وكاد بأن يرى للغرب غربا

وقال في موضع آخر:

فغربت حتى لم أجد ذكر مشرق وشرقت حتى قد نسيت المغاربا

فقال البحتيري وأحال:

فأكون طوراً مشرقاً للمشرق الأقصى وطوراً مغرباً للغرب

والخبر طويل وبشواهد يثبت بها أحمد بن أبي طاهر سرقة البحتري من أبي تمام، والنص أقرب إلى أن يكون من كتاب (سرقات البحتري من أبي تمام) [١].

ومن يدري لعله من توارد الخواطر.

وفي نص آخر يقول المرزباني: "قال أحمد بن أبي طاهر: كان الأعشى رواية المسيب بن علس والمسيب خاله، وكان يطرد شعره ويأخذ منه وليس موجوداً في "تاريخ بغداد" ولا في "بلاغات النساء"[٢].

وجاء في كتاب "المرزباني والموشح" إشارات كثيرة للسرقات منها ما جاء تحت عنوان "أمثلة للسرقات التي لم يوفق أبو تمام في إخفائها".

يرى ابن المعتز أن الشاعر "لا يعذر في سرقته حتى يزيد في إضاءة المعنى أو يأتي بأجزل من الكلام الأول أو يسنح له بذلك معنى يفضح به ما تقدمه ولا

---

(١) المرزباني والموشح ١٤٩.

(٢) المرزباني والموشح ١٤٩.

يفتضح به، وينظر إلى ما قصده نظر مستغن عنه لا فقير إليه"[١].

ومن سرقات أبي تمام ما يصف فيه المطايا بقوله:

إرقالها يعضيدها ووسيجها سعدانها وذميلها تنومها

ويقول ابن المعتز: وقد سبق إلى هذا المعنى وكسته الشعراء من الكلام أحسن من هذه الكسوة.

وعلى أن المعنى مسروق فالصياغة جافة غير مستأنسة.

وقوله:

فإن صريح الحزم والرأي لامرئ إذا بلغته الشمس أن يتحولا

ويقول ابن المعتز: وليس هذا بشيء ربما أستطاب الناس التحول إلى الشمس وإنما أخذه من كلام العامة "إذا بلغت الشمس فتحول".

وقوله:

سدك الكف بالندى عائر السمع إلى حيث صرخة المكروب

ويقول ابن المعتز: فوجدناه قد سرق هذا من بيت لبعض الشعراء مدح به يحيى بن خالد البرمكي وهو ...

رأيت يحيى حين ناديته متصل السمع بصوت المنادي

وهو أجود من بيت الطائي وأسلم من التكلف وأمشى في الإحسان[٢].

وقد روى أن ابن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم، قال: سمعت الأصمعي يقول: تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقه، وكان يكابر. وأما جرير فما علمته سرق إلا نصف بيت، قال: ولا أدري، ولعله وافق شيء شيئاً. قلت: وما هو ؟ فقال: هجاء ولم يخبرنا به.

قال أبو حاتم: وقد رأيته أنا بَعْدُ في شعره والبيت في طبقات ابن سلام

---

(١) المرزباني والموشح ٣٥١.

(٢) السابق ٣٥٢.

(٣٢٤) يُقصّر باع العاملي عن العُلا ...

فقال ابن دريد: هذا البيت لغيره وهو قديم.

قال الشيخ أبو عبد الله المرزباني: وهذا تحامل شديد من الأصمعي، وتَقَوُّل على الفرزدق لهجائه باهلةً، ولسنا نشكُ أن الفرزدق قد أغار على بعض الشعراء في أبيات معروفة، فأما أن نطلق أن تسعة أعشار شعره سرقة فهذا محال وعلى أن جريراً قد سرق كثيراً من معاني الفرزدق وقد ذكرنا ذلك في أخبار الفرزدق[1].

وقد نقل المرزباني ما عيب على أبي نواس في قوله:

وجدنا الفضل أبعد من رقاش ... من ابن الأتن من ولد الفيول

قول رديء ضعيف مسروق رديء السرقة، لأنه أراد قول يزيد بن مفرغ يخاطب معاوية من البيت الثالث:

إلا أبلغ معاوية بن حرب ... مغلفة من الرجل اليماني
أتغضب أن يقال أبوك عفٌ ... وترضى أن يقال: أبوك زان
فأشهد أن رحمك من زياد ... كرحم الفيل من ولد الأتان[2]

إن قصة الفيل مع ولد الأتان مشهورة عند العرب وليس من اللازم أن يأخذها من يزيد بن مفرغ.

---

(١) الموشح ١٤٧.

(٢) الموشح ٣٣٨، ٣٣٩.

خاتمة

يتضح من البحوث المتقدمة أن المرزباني كان وعاءً من أوعية العلم، فقد ألمَّ بمؤلفات عصره واستوعبها استيعاباً دقيقاً، وقسمها في أبواب بحيث تكون المعلومة سهلة أمام القارئ، ونكلفه غير طبيعته إذا طلبنا منه أن يكون ناقداً بلاغياً يقدم رأيه ويحكم على النصوص، على نحو ما صنع الآمدي في الموازنة والجرجاني في الوساطة وغيرهما من الناقدين الذين تركوا بصمات قوية في المحيط البلاغي والنقدي، والذي دفعني إلى تتبع ما قاله المرزباني أنه جاء بآراء لبعض النقاد لم تكن معروفة، وهو بذلك يضيف إلى التراث الأدبي ما يكمل دائرته في العصر الذي نشأ فيه.

وإذا كان مؤرخو البلاغة قد غضوا النظر عن جهوده في "الموشح" فلأنهم رأوا أنه لا يضيف الجديد، وهم في ذلك قد ظلموه لأنه حين تتبع آراء السابقين، ونظمها في فصوله المختلفة قد سهل لمؤرخي النقد والبلاغة أن تكتمل رؤيتهم، بما جمع وقدم من هذه الأخبار.

وليس المرزباني بواحد في هذا الاتجاه، فكتاب " الأغاني " لأبي الفرج الأصفهاني على سعة فضله وعظم انتشاره مستوعب جامع، ولكن الأصفهاني كان وعاءً من أوعية العلم، فقدم ما عثر عليه من الآراء، وكانت له تعليقات طفيفة على بعض ما يروي، ولكنها لا تقعد به في مجلس النقد الأدبي، إذ تظل على الشاطئ.

وقد أدى كتاب "الأغاني" دوره في حفظ التراث التاريخي للأدباء، وكذلك "الموشح" أدى هذا الدور في حفظ التراث النقدي، ولذلك كان جديراً بالالتفات إليه، والتنبيه إلى ما فيه من آراء العلماء العظماء في النقد.

وحسبه ذلك مكانة بين المؤلفين.

المراجع

(١) الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس (ت٤١٤هـ) - تحقيق أحمد أمين وأحمد الزيني - ط بيروت.

(٢) الأنساب السمعاني أبو سعيد عبد الكريم بن أبي بكر محمد المروزي (ت ٥٦٣هـ) - ط ليدن ١٩١٢م.

(٣) تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المتوفى ٤٦٣هـ - ط الخانجي - القاهرة ١٩٣٧م.

(٤) الجواليقي أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الخضر (ت ٥٤٠هـ) - تحقيق أحمد محمد شاكر - ط دار الكتب ١٩٦٩م.

(٥) عيار الشعر ابن طباطبا محمد بن أحمد العلوي (ت ٣٢٣هـ) تحقيق د. طه الحاجري ود. محمد زغلول سلام - ط التجارية ١٩٥٦م.

(٦) الفهرست - ابن النديم - ط التجارية.

(٧) الكامل لابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ) - ط الأزهرية - القاهرة ط١.

(٨) لسان العرب - ابن منظور - دار الحديث - القاهرة - الطبعة الأولى ٢٠٠٣م ، روجع بمعرفة لجنة من الأساتذة المتخصصين .

(٩) المرزباني والموشح د/ منير سلطان - ط الأولى ١٩٧٨م الهيئة المصرية العامة للكتاب - الإسكندرية.

(١٠) معجم الأدباء - ياقوت الحموي - ط دار المأمون.

(١١) معجم الشعراء - للمرزباني تحقيق عبد الستار أحمد فراج - ط الحلبي.

(١٢) الموازنة الآمدي - الحسن بن بشر بن يحيى (ت ٣٧٠هـ) تحقيق السيد صقر - دار المعارف ١٩٦١م.

(١٣) الموشح لأبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت ٣٨٤هـ) تحقيق علي محمد البيجاوي – ط نشر دار الفكر العربي – القاهرة.

(١٤) نزهة الألباء ابن الأنباري عبد الرحمن بن محمد كمال الدين أبو البركات (ت ٥٧٧هـ) – تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم – الفجالة – القاهرة.

(١٥) نقد الشعر قدامه بن جعفر أبو الفرج (ت ٣١٠هـ) – تحقيق مصطفى كمال – ط الخانجي ١٩٦٣م.

(١٦) وفيات الأعيان – ابن خلكان شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت ٦٨هـ) تحقيق الدكتور إحسان عباس – ط بيروت ١٩٧٢م.